عصير الكتب

# الغرق!

رواية

لعنة البرج

هالة الشاعر

تصميم الغلاف: يارا عمر

رواية

# الـــــغـــرق

(لعنة البرج)

# هالة الشاعر

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

http: //book-juice.com

رواية

# الغرق

المؤلفة: هالة الشاعر

نشر في: أبريل 2017

تصميم غلاف: يارا عمر

تقييم وتصحيح: علا منصور $ عبد الفتاح أنور

تنسيق داخلي: عصير الكتب للنشر الالكتروني

# الإهداء

**إلى والدتي ووالدي..**

**وجدتي رحمة الله عليها، شكرًا لأنك أول من قص على قصة..**

**إلى زوجي الحبيب..**

**وإخوتي وأصحابي.. أدام الله الود بيننا.**

**إهداء خاص**

**إلى كل طنط حشرية!**

**أهدي إليك هذه القصة.**

**ماذا لو تسببت بمقتل من تحب؟**

**ما هو شعورك حينها؟**

**حسنًا، ماذا لو تسببت بقتل أحب الناس إليك.. عائلتك وبالخصوص أطفالك؟**

**سوف تترجى مَن ظلمته كي يعفو عنك..**

**كي يترك عائلتك وشأنها.**

**وهنا تكمن المشكلة، لقد ذهب مَن ظلمته بغير عودة وعليك الآن دفع ثمن أخطائك إلى ما لا نهاية، ببساطة لأنك لن تستطيع العثور عليه قط.**

**سوف ترى الانتقام كل يوم.. كل لحظة.. يحوم حولك، وترى أحبتك يفقدون حياتهم أمام عينك ولن تستطع فعل أي شيء.**

**إنه الغرق!**

# (1)

وضعت يدها على فمها تكتم أنفاسها المرتعبة، تهتز للأمام وإلى الوراء بعصبية شديدة، كان هلعها يزداد في كل دقيقة، تعلم أنه لا يوجد هناك أمل، ولكن رغمًا عنها تمسكت بالأمل الواهي أن يقول الطبيب شيئًا ما، شيئًا يعيد الهواء إلى رئتيها ويجعلها قادرة على العيش مرة أخرى.

كانت تقف أمام باب غرفة صغيرتها، وحالما انتهى الطبيب من الكشف رفع الغطاء بأسى شديد على وجه الصغيرة.

تراجعت خطواتها الواهية إلى الخلف والدموع متحجرة بعينها إلى أن سقطت أرضًا تكتم صرخاتها بيدها، إنها الملامة في كل هذا، إنها من قتلت طفلتها بيدها.

كانت هناك سيدة أخرى في صالة هذا المنزل الذي غابت عنه روح صغيرة بريئة قتلت بواسطة شناعة والدتها، وليس أي قتل، إنه الغرق!

رجعت تلك السيدة إلى الوراء بخطوات متعثرة وحالما خطت قدمها خارج باب المنزل صرخت صرخة مدوية للغاية إلى أن سقطت أرضًا، تلك الصرخة التي أرعبت كل النساء، حوالي أربع عشرة امرأة ومثلهم من الرجال، كان الرجال يحاولون التماسك أما النسوة صرخن وبكين وولولن أنهم قتلة، وحوش، مجرمون ولكن من نوع آخر، لقد قتلوا أبناءهم بأيديهم.

تجرأ أحد الرجال ودلف إلى الشقة ونظر للأم الباكية أرضًا ولم يتحدث، ودلف إلى غرفة الصغيرة المتوفاة وسأل الطبيب مباشرة متجاهلًا بكاء الأب الذي يدفن رأسه في سرير صغيرته: ما سبب الوفاة؟!

كان يحاول التماسك قدر استطاعته ولكن الطبيب كان منهارًا للغاية، فهو في نهاية الأمر أحد سكان هذا البرج الملعون!

الطبيب بأسى شديد: الغرق.

ثم أردف بعد برهة: أظن هذا.

هز الرجل رأسه بشكل هستيري رافضًا ما قاله الطبيب: مستحيل، بعد كل ما فعلناه؟!

الطبيب بصعوبة شديدة: أجل، يبدو أنه لم يكن كافيًا في نهاية الأمر.

صراخ هستيري حاد من الطابق الذي يعلوهم، ومن ثم انضم صوت آخر رجولي يصرخ باسم الطبيب.

فزع هو والرجل وصعدا معًا إلى الطابق العلوي ودلفا راكضين إلى مصدر الصراخ، كان الصغير بالسابعة، كان يصرخ بشكل هستيري للغاية وجسده يتلوى بشكل مخيف، ومن ثم ارتفع جسده بالهواء وبدا وكأن هناك أربع أذرع تشده بعنف، وأخذ يصدر عنه صوت وكأنه يغرق بالماء، وبعد دقيقة واحدة سقط جسده على السرير وعيناه جاحظتان تنظران إلى السقف.

اقترب الطبيب بيد مرتعشة ووضع السماعة على قلبه ولكن لم يكن هناك شيء، أغلق عيني الصغير الجاحظتين وقام برفع الغطاء على وجهه ليعلو صوت الصراخ مرة أخرى.

***

لمى: لا يعجبني هذا يا كريم، لقد أصبحت تتأخر كثيرًا.

قالتها بتململ شديد وهي ممسكة بسماعة الهاتف.

كريم: عزيزتي إنه العمل! كما أنني أخبرتك سابقًا أن العمل سوف يكون كثيرًا في هذا الموقع، إن الحال تبدل بنا، لقد أصبح منزلنا أخيرًا في مكان مأهول بالسكان. ألا ترين أن هذا رائع؟! لمَ لا تكونين صداقات يا لمى؟ نحن هناك منذ أربعة أشهر، تشجعي وتعرفي على أحدهم.

زفرت الهواء بعنف وأخذت تعبث بالغطاء: هذا يعني أنني سوف أذهب لشراء أغراض المنزل وحدي مرة أخرى.

كريم: سامحيني يا عزيزتي.. أعلم أنكِ تكرهين هذا ولكنني مضطر. النقود بالدرج إلى جوارك.. أراكِ مساءً.

وأرسل لها قبلة على الهاتف وأغلق الخط.

فتحت الدرج إلى جوارها ونظرت إلى النقود، لقد تآمر عليها منذ البداية، كان يعلم أنه سوف يتأخر ووضعها أمام الأمر الواقع كي تضطر إلى الذهاب، كان يعلم أنها تكره هذا، تكره الاختلاط بالناس، لديها رهاب من نوع خاص، تكره الزحام والخروج، تفضل الوحدة، ومن بعد الوحدة تفضله هو، لذلك لم تكن تمانع حقًا بالسفر معه لأي من تلك الأماكن النائية التي كان يذهب لها من قبل، فهي تشعر بالأمان في وحدتها.

اغتسلت وارتدت ملابسها مكرهة وأخذت النقود ونزلت إلى الأسفل بهدوء، متجاهلة وجود المصعد فهي لا تركبه وحدها أبدًا.

فُتحت عدة أبواب وألقوا التحية عليها، وردت هي بخفوت شديد ورفضت للمرة المليون عروضهم للدخول والجلوس معهم لشرب كوب من الشاي متعللة بالاستعجال.

كان الأمر بمثابة حرب لها، حرب تدور بداخلها، الشمس، الهواء الطلق، السيارات، البشر، كل شيء يخيفها كثيرًا، ورؤية كل هذه الأشياء مرة واحدة تزيد من رعبها ورهابها.

ازدردت لعابها وواصلت السير إلى المكان المطلوب وهي تنظر أرضًا متجنبة النظر إلى أي كان، فالناس هنا يعرف بعضهم بعضًا ويحاولون تكوين الصداقات بشتى الطرق كي يعوضوا النقص فيما تركوه وراءهم، هذا هو حال سكان المدن الجديدة أو معظمهم على الأقل!

انتهت من التبضع وقابلتها إحدى السيدات وصاحت فرحة حالما رأتها.

عفاف: أه لمى، يا له من شيء رائع! وأخيرًا تقابلنا، لمَ لم تأت إلى حفل الشاي؟!

ارتبكت لمى ونظرت أرضًا، إنها لا تجيد التعامل مع الناس.

: شعرت بالقليل من الإرهاق.. آسفة.

عفاف بمكر وابتسامة واسعة: هل هذا يعني أن هناك ضيفًا صغيرًا قادمًا على الطريق؟!

ارتبكت لمى ووضعت خصلات شعرها البني خلف أذنها.

: آسفة، علي الذهاب الآن.

ومضت سريعًا وتركتها بينما تمتمت عفاف بكبر: يا لها من متكبرة، سوف تسقط شر سقطة، إنها نهاية مثيلاتها على أي حال.

حالما دلفت لمى إلى شقتها أغلقت الباب وتنفست الصعداء، أوصدت الباب جيدًا ومن ثم أغلقت القفل وعلقت السلسال، وكلما فعلت هذه الفعلة تذكرت تهكم زوجها عليها لشدة خوفها، نظرت إلى الشقة، كانت في فوضى، لم تكن فوضى كبيرة إلا أنها لم تبال فهي تكره أعمال التنظيف ولا تقوم بها سوى يوم واحد فقط في الأسبوع، حضّرت شطيرة وأخذت كيس رقائق ووقفت خلف الشباك المطل على الحديقة، تراقب الأطفال وهم يلعبون ويمرحون في بركة السباحة بالحديقة الخلفية لهذا البرج، كانت هذه متعة كبيرة بالنسبة لها، أنهت شطيرتها وأخذت تتناول الرقائق ببطء وتلذذ أثناء مراقبتها هذه.

لم تكن تعلم بأن هناك من يراقبها ويظن بها الظنون.

***

اتشح سكان البرج الملعون بالسواد؛ فالصغيرة منار والطفل آسر لم يكونا أول من يدفعون ثمن جرائم أهاليهم بل سبقهم أربعة آخرون.

عفاف كان جسدها كله ينتفض والدموع حفرت خطين على وجهها.

عفاف: لقد.. لقد.. رأى ابني هيثم.. لمى.

وهنا صرخت بها إحدى النسوة: لا تنطقي اسمها أبدًا أيتها الغبية، لا تنقصنا مصائب!

أردفت عفاف بصوت مرتعش: لقد رآها تسبح معه.

وانغمرت في نوبة بكاء حاد.

شهقت السيدات بحدة وكتمن أنفاسهن، هذا يعني شيئًا واحدًا، يعني الغرق، الغرق لهيثم، لقد كان هو التالي.

صعدت عفاف إلى أبنائها تشتم رائحتهم، تملي عينيها منهم وتضمهم بشدة إلى صدرها، لم تكن تبكي وحدها فصغارها الثلاثة يرون كوابيس بشعة كلما حاولوا إغلاق أعينهم، لقد كان سكان البرج الملعون كلهم في حالة انهيار تام.

دخل زوج عفاف، السيد أشرف، مع أحد المشعوذين إلى حديقة البرج، حيث اجتمع رجال البرج الملعون كلهم بالأسفل منتظرين قدوم هذا الدجال الذي لم يكن الأول بالمناسبة! ولكنهم كانوا يأملون في كل مرة أن ينجح أحدهم بطرد تلك اللعنة، دخل المشعوذ وبدأ بالتفوه بالترهات وعدة همهمات عن أن هذا مكان الحادثة وأن رائحة الموت هنا وأشياء من هذا القبيل.

كانت تلك المعلومات وافرة للغاية؛ فكل سكان المنطقة يعلمون ما حدث هنا تمامًا ويعلمون أن سكان هذا البرج ينالون عقابهم على أفعالهم الشنيعة.

كانت تراقب من بعيد، تطير في الهواء وتحوم حول المكان الذي انتهت به حياتها نهاية بشعة، ضحكت بسخرية ممزوجة بمرارة، لقد تركتهم يفعلون ما يريدونه حوالي خمس مرات، كلما رأت مشعوذًا كانت تراقب من بعيد ما يقوله وما يطلبه منهم من طلبات سخيفة، كان يستخف بعقولهم ويسرق أموالهم علانية وهم يدفعون له مدخرات عمرهم طواعية، وهي الأخرى استغلت ذلك الوضع، كانت تتركهم وشأنهم يومين حتى يهدأ بالهم ويظنوا أن ذلك المشعوذ نجح بطردها، ومن ثم

تضرب ضربتها التالية في اليوم الثالث، كانت تهوى التلاعب بهم فهم من أوصلوها إلى هذا الوضع على أي حال.

أما اليوم قررت تلقين الرجال درسًا قاسيًا وتلقين هذا المشعوذ القذر أيضًا درسًا قاسيًا يحرمه فعل هذه الأشياء مرة أخرى.

المشعوذ: سوف تنتهي معاناتكم هذه اليوم، فأنا أعرف أمور الأرواح القذرة هذه، ولكن عليكم بأن تأتوا إلي بهذه الطلبات كي أستطيع طردها إلى الأبد.

وافق الرجال بشدة وهزوا رؤوسهم موافقين؛ فهم مستعدون لفعل أي شيء يخلصهم من هذا الجحيم، قصوا عليه كل شيء يحدث معهم ومع أبنائهم وأن هناك طفلًا جديدًا حلم بأنه يسبح معها وعليه بالتصرف بسرعة؛ فهي تغرق الأطفال وقت الفجر، والساعة أصبحت التاسعة الآن.

كان المشعوذ مرتبكًا كثيرًا بعد سماع كميات القتلى في هذا الوقت القصير، لم يسمع بشيء مثل هذا طوال العشرين عام الذي اشتغل بهم بهذه المهنة العفنة؛ لذا سألهم: هل فكر أحدكم بترك هذا المنزل والذهاب إلى مكان آخر بعيدًا عن هنا؟!

أشرف: أجل، ثلاث أسر تركت البرج بالفعل.

المشعوذ: وكيف أصبحوا؟!

أشرف: لقد ماتوا جميعًا.

اصفر وجه المشعوذ وسأل: الأطفال؟!

أشرف: لا، بل الثلاث أسر كاملة توفوا بحوادث بشعة.

**ازدرد المشعوذ لعابه بصعوبة بالغة، إن هذا الأمر يفوق قدرته على النصب، من الممكن أن يتأذى هنا، عليه بالابتعاد، وحالما نظر نحو حمام السباحة ارتفع الغطاء الموضوع عليه، ارتفع وطار بالهواء على مسافة ستة أمتار، وسط رعب الرجال الواقفين وأولهم المشعوذ!**

**انسدل هذا الغطاء من الجوانب الأربع وأصبح يغطي جسدًا أنثويًا، ثم طار الغطاء والجسد الأنثوي إلى الطابق الخامس أمام الشرفة خاصتها، وقف الغطاء دقيقة ومن ثم ارتمى بالحمام بقوة شديدة أغرقت كل الواقفين بالأسفل.**

**جمدت ألسنتهم من الصدمة، وبعد أن استوعب المشعوذ ما حدث فر يصرخ راكضًا إلى الخارج، أما بالنسبة لهم كانت الرسالة واضحة للغاية: لن تتركنا وشأننا أبدًا.**

***

## (2)

كريم: هيا يا لمى لا تكوني سخيفة، لقد رفضت كل العزائم السابقة، لقد نفدت الأسباب مني.

لمى: أذهب أنت واتركني هنا، أنا لا أحب العزائم وأنت تعلم هذا جيدًا.

نفخ الهواء بنفاد صبر وجلس على الأريكة بعنف وأخذ يقلب في التلفاز بغير

هدف.

حزنت بشدة لأجله وذهبت تمسد ظهره وتقبل رأسه: هيا يا كريم لا تبتئس هكذا إنه يوم عطلتك، لقد حضرت لك أفلامًا رائعة، سوف نستمتع صدقني.

لم يجبها بشيء نهائيًا، التفتت وجلست إلى جواره.

لمى: كريم أرجوك أنا.. أنا لا أحب هذا وأنت تعلم.

كان وجهه جامدًا جدًا، هذه ليست عادته معها، لطالما كان متفهمًا.

لمى: هل مللت مني يا كريم ومن عبئي الثقيل؟

لم تعد تستطع الإمساك بدموعها بعد الآن.

التفت لها ورق قلبه ففي نهاية الأمر إنها حبيبته وعائلته كلها: لمى رجاءً كفي عن البكاء، الأمر ليس هكذا، أعلم يا حبيبتي أن ما مر عليكِ من قبل لم يكن سهلًا على الإطلاق، ليس البشر كلهم سيئون، صدقيني إن هذا العالم مليء بالجيد والسيئ على حد سواء، عليكِ بإعطاء الأمر فرصة.

ونظر إلى الأمام وزفر بحنق: كما أنك تعلمين مدي كرهي لخوفك هذا وأنا معك، ألست أمانك يا لمى؟!

هزت رأسها موافقة ومسح هو دموعها.

كريم برقة: هيا، ارتدي ملابسك إذًا.

وذهب هو إلى الثلاجة وأخرج كل ما بها من فاكهة وحلوى، وحالما جهزت هي أمسك بيدها وأخذها إلى الأسفل، كانت ترتعش ولكنه كان يضغط عليها بشدة كي تكف عن خوفها هذا.

كان يوم الجمعة عطلة عند جميع سكان هذا البرج تقريبًا، وإذا كان الجو صحوًا ينزل الجميع إلى الحديقة الخلفية يلعبون ويمرحون ويقيمون حفل شواء.

حالما دلف كل من لمى وكريم إلى الحديقة، لقيا ترحيبًا غير عادي من الرجال، وهمست بعض النسوة بحقد: وأخيرًا تنازلت الملكة المتوجة كي تجلس معنا.

كان هناك ثلاث سيدات بحمام السباحة يسبحن مع أطفالهن من ضمنهم عفاف التي حالما رأت لمى هتفت صائحة: هيا يا لمى إن المياه رائعة اليوم.

ارتبكت لمى كثيرًا: لا شكرًا، لا أستطيع السباحة.

كريم: ما رأيك بدرس صغير اليوم؟ هيا يا لمى تشجعي لننزل، المياه تبدو رائعة.

لمى: لا يا كريم، لا أريد.

تنهد كثيرًا ونظر لحمام السباحة وصاح به السيد رشاد: هيا تعال أنت يا كريم، المياه رائعة بحق اليوم.

خلع قميصه القطني وكان يرتدي سروالًا قصيرًا أسفله وهمس لها: لن أتأخر كثيرًا.

وقفز في ذلك الحمام بمرح جعل الجميع تقريبًا يضحك، ومن ثم أخذ يحمل الأطفال على ظهره ويمرح معهم، إنه ليس مثلها أبدًا بل يحب الناس كثيرًا ويحب الانخراط معهم.

شعرت برعشة في جسدها كله، وأخذت تمسد ذراعيها العاريتين، وأخفضت نظرها إلى الأسفل، معظم النساء كن يعتقدن أنها مغرورة للغاية، فهي جميلة بل رائعة الجمال، وصغيرة بالسن لم تبلغ الأربعة والعشرين بعد، بينما أصغر واحدة منهن كانت بالخامسة والثلاثين، وجسدها الجميل الممشوق لم تفسده الولادة والرضاعة بعد.

كانت النساء تنظر لها بحسد أيضًا على زوجها الشاب الفتي ممشوق القوام، مفتول العضلات وسيم الوجه، لا يعلمن أنه كل ما تملك في هذا العالم التعس.

ازدادت رعشة جسدها ونظرت خلفها لا إراديًا ورأت زوجان من العيون الماكرة كعيون الثعبان تنظران لها بل تلتهمانها التهامًا، شدت على فستانها القصير الخفيف ونظرت إلى الطاولة وتملك الرعب منها وأخذت تتمتم بكلمات خافتة لنفسها جعلت النساء حولها على الطاولة يتهامسن.

: تلك الفتاة بها شيء ما، إنها ليست طبيعية على الإطلاق!

بينما المسكينة لم تكن تقل شيئًا سوى: اهدئي يا لمى، ليس كل البشر سيئين.

شعرت أن السهام الحارقة التي ترشقها من الخلف تزداد سخونة، وبالفعل بعد دقيقتين كان الرجل صاحب زوج العيون اللعينة هذه يجلس إلى جوارها متعللًا بالطعام، انكمشت على نفسها أكثر من ذي قبل ولم تنظر نحوه قط.

بينما هو تمتم: مساء الخير سيداتي، إنه يوم رائع أليس كذلك؟!

سأل هذا السؤال موجهًا إياه إلى لمى ولكنها لم تلتفت له حتى.

السيدات: بالفعل يا سيد رائد.

وتطوعت السيدة منى بتولي مهمة التعريف.

منى: سيد رائد، هذه هي لمى زوجه المهندس كريم الساكن الجديد.

رائد بفرحة مفتعلة فهو يعلم من هي جيدًا: وأخيرًا يا مدام لمى استطعت رؤيتك، أنا رائد العالي مالك البرج، إن كان لديك أي شيء ناقص أو لا يعمل فقط أخبريني.

ومد يده يسلم عليها بابتسامة هادئة على وجهه، وحالما لمست يده كان ملمسها كجلد الثعبان فنزعتها سريعًا من يده، إنه حية تسير في هيئة بشر، استأذنت وذهبت سريعًا نحو كريم الذي أخذ يغريها بالماء، ولكنها رفضت بشدة ورجته كي يصعد معها.

تذمر جميع الحاضرين: الغداء سوف ينتهي بعد عشرة دقائق، لا يجوز أن تذهبا الآن اجلسا كي نتناوله معًا.

ولكن لمى بدت مضطربة للغاية فرفض كريم العرض وصعد معها.

كان غاضبًا منها بينما هي دلفت إلى غرفتها وتكورت على نفسها وأخذت تبكي بشدة.

كريم بحنق: ماذا الآن يا لمى؟ ما الذي حدث؟! لقد جعلت الجميع يتحدث علينا ويرجونا البقاء، لمَ فعلتِ هذا؟!

كانت تتأرجح إلى الأمام وإلى الوراء وتمتمت أثناء بكائها: إنهم أناس سيئون، لا أود البقاء هنا، أود العودة إلى الصحراء معك.

كريم بغضب: لن أعود إلى الصحراء مرة أخرى، هل هذا واضح؟ لقد آن الأوان لكِ كي تتجاوزي كل هذا، هل هذا واضح يا لمى؟

وضعت يدها على كل من أذنيها رافضة تجاهله هذا وازداد بكاؤها، انحنى إلى الأسفل وحدثها بهدوء ورقة: ألم تخبرك الطبيبة يا لمى أنكِ تتوهمين هذه الأشياء؟

لمى: لم أجن بعد يا كريم، لم أجن. أنا لا أتوهم هذا، أقسم أني لا أتوهم هذا.

كريم: حسنًا يا لمى حسنًا.

وضمها إليه كي تهدأ، بينما بالأسفل دار حوار آخر:

رائد: تلك الفتاة بها شيء غريب، ليست طبيعية على الإطلاق.

وجدت بعضهن أن هذه فرصة رائعة كي يخضن بسيرتها، بجعلها تنزل من تلك المنزلة العالية المترفعة، بجعلها فتاة أقل من عادية.

سألت عفاف: كيف يا سيد رائد؟

رائد بمكر: تصرفاتها غير عادية أبدًا، إن بها خطبًا ما.

ثم انحنى وهمس لهن بفحيح الثعبان: لقد رأيتها أكثر من مرة تراقب أطفالكم من خلف شباك البلكون خاصتها وكان على وجهها نظرة غريبة، احذرن.

شهقت كل منهن وضمت واحدة منهن رضيعها إلى صدرها بقوة، وسألت منى بذعر: لمَ تفعل ذلك يا سيد رائد؟!

رجع إلى الوراء وادّعي عدم المعرفة: لا نعلم بعد يا سيدة منى، إن تصرفاتها غير طبيعية.

هزت السيدات رؤوسهن بشدة موافقين على كلامه.

رائد: انتبهن.. إننا لا نعرفها جيدًا بعد.

وافقن على هذا التحذير، وبعدها صاح الرجال بأن الشواء انتهى وعلى السيدات بإعداد الطاولة من أجل الطعام.

طرق الباب وفتح كريم ورحب بالسيد رائد كثيرًا وشكره على طبق الشواء، وسأل رائد بقلق زائف: هل مدام لمى بخير؟!

ارتبك كريم: أجل أجل، مجرد صداع في الرأس، شكرًا لسؤالك يا سيد رائد.

رائد: الجميع بالأسفل يرسلون لكم تحياتهم.

وانصرف رائد ووضع كريم الطبق على الطاولة وأخذ يفكر، كيف للمى أن ترى هؤلاء الناس بالغي اللطف سيئين؟!

***

لم يعد يتذكر متى كانت هي آخر مرة نام فيها، منذ الحادث اللعين، أي منذ شهرين ونصف، وهو لم يهنأ بساعتين متواصلتين من النوم، ورغم الكارثة التي سوف تحل عليهم اليوم غلبه النعاس بالثانية عشرة صباحًا وهو يضم ابنه هيثم في حضنه.

رآها مختبئة خلف الباب تسأل من الطارق، وأجابها هيثم بصوته الطفولي: إنه أنا.

اطمأنت عندما سمعت صوت الطفل وفتحت الباب ورحبت به إلى الداخل، دلف الطفل وغاص بداخل الشقة ومن ثم خرج مرة أخرى يركض بمرح وقبلها على وجنتها وقال: لقد أردت مشاهدة العصافير فقط.

ونزل إلى الأسفل مرة أخرى.

حالما أغلقت الباب علمت أنها ليست وحدها، أحست بروح شريرة ترصدها بالمكان، والمياه أخذت تفيض من حمامها بشكل مخيف، نظرت برعب حولها تبحث عن الهاتف وتطلب الرقم الوحيد الموجود عليه، ولكن الهاتف لم يستجب لها، لم يقبل أن تفتحه قط، حاولت مرة واثنتين وثلاث ولم يقبل بالفتح قط، كانت تعلم أن روح الشرير هو من يعبث بالهاتف، لن يجعلها تطلب النجدة أبدًا.

أصبحت المياه تغمر ساقيها وأحست بأن هذه هي النهاية فأخذت تصرخ: "أيها الملعون اتركني وشأني، أيها الملعون دع الهاتف" سقط الهاتف من يدها بالمياه، ورغم أنه غير مقاوم للماء ظل يعرض صورًا غريبة على شاشته، وأبى أن يفتح من أجلها، شعرت بيد تخنقها، وأصبحت قدمها ترتفع عن الأرض بمسافة متر، شُل جسدها وطار بالهواء ومن ثم ارتفع وأصبحت كل من يديها وقدميها معلقتين بالهواء. غابت عن الوعي وأغمضت عيناها، ورغم ذلك كانت تشعر بالألم يأكل من كل ذرة بجسدها الهش، وبعد أن طار جسدها بأنحاء الشقة كلها عاد مرة أخرى إلى المكان الذي سقط به الهاتف ومن ثم غاص بالمياه، حاولت التململ من قبضة هذه الروح ولكن لم تفلح أبدًا وما هي إلا ثوان قليلة وأصبحت كل من رئتيها مشبعة بالمياه.

استيقظ يلهث ويسعل بشكل مخيف للغاية، كان سعاله عاليًا جدًا ورغم ذلك لم يوقظ الطفل، ذهب إلى المطبخ وسقط أرضًا وهو يسعل يريد أن يطرد الماء اللعين من رئتيه، وبعد مدة طويلة استطاع التنفس مرة أخرى، اللعنة.. كم هو مؤلم الغرق!

كانت مشتتة بين ابنها هيثم وأطفالها الآخرين، وضعتهم بغرفة أخرى وجعلتهم يخلدون إلى النوم بأعجوبة، ظلت طوال الليل تجيء وتذهب عليهم، كانت ممزقة بينهم وبين هيثم، والآن تنظر بقرف واشمئزاز لزوجها الملقى على الأرض، وتمتمت بكل الغل والحقد الموجود بداخلها: أتمنى أن تغرقك أنت يا أشرف الملعون، أنت السبب بكل هذا، سوف يضيع ابننا بسبب حقارتك.

كانت تتكلم من بين أسنانها وتتمنى لو تستطيع أن تجهز عليه وتنهي حياته الحقيرة هذه.

أمسك بحلقة وتكلم بصعوبة: أنت الأخرى مثلي تمامًا يا عفاف، أنت وكل نساء هذا البرج اللعين كنتن تعلمن ما نريده وصمتن كي تتخلصن منها أليس كذلك؟! أنت ملامة مثلي تمامًا في هذا الأمر.

كانت الثالثة فجرًا، أي باقي من الزمن ساعتين، ولكنهما سمعا صوت صراخ حاد صادر عن غرفة ابنهم هيثم، ومن ثم تكرر مشهد الغرق مرة أخرى.

***

كريم: هيا يا لمى تناولي شيئًا، إن هذا اللحم لذيذ للغاية.

نظرت للحم بقرف وهزت رأسها نافية، وفتحت البلكون بهدوء وجلست على الأرض، كانت تضع بأرضية البلكون سجادة ملونة حاكتها يدويًا، جلست عليها وأخذت تتأمل البلكون الذي حولته إلى جنتها الصغيرة.

زرعت به الورود ووضعت قفصًا للعصافير، ويوجد مكان لقطها الأبيض الصغير "سيزر" الذي جاء وجلس بحضنها حالما جلست أرضًا، أخذت تربت عليه وهو الآخر نام بحضنها، كانت تعشقه بشدة، ضمته إلى حضنها وظلت صامتة تقبله كل حين بهدوء، جاء كريم وجلس إلى جوارها وتنهد بأسى: هنيئًا لك يا سيزر!

نظرت له ثم دفنت رأسها بصدره وأخذت تضمه لها بشدة.

كريم: صدقيني يا لمى لا يوجد ما يستدعي كل هذا الخوف.

تنهد قليلًا ثم أردف: لقد تمنيت السباحة واللهو معك اليوم وحزنت بشدة عندما رفضتِ النزول معي، أنت تعلمين أنني أود مشاركتك كل شيء يا لمى.

تمتمت بأسى: أخشى المياه، لم أسبح من قبل قط.

كريم بتعجب: ولا مرة واحدة!

لمى: أجل.

كريم: امم.. علينا إذًا العمل على هذه المشكلة الخطيرة.

قالها بجدية شديدة جعلت لمى تضحك وتخرج من حزنها هذا.

كريم: هيا استعدي، سوف نسبح الآن.

لمى هزت رأسها نافية: لا، لا أود السباحة يا كريم، اتركني وشأني.

وقف ونظر إلى الأسفل: لقد ذهبوا جميعًا، هيا هذه فرصة رائعة.

أوقفها رغمًا عنها وجرها إلى غرفتها كي تبدل ثيابها، وبدل هو الآخر ثيابه ونزل بها بالمصعد إلى الحديقة الخلفية.

قفز برشاقة وهمة، إلى حوض السباحة وجلست هي على الحافة تعبث بأقدامها في المياه، وبعد أن سبح مرتين بهمة ونشاط وغاص قليلًا، عاد لأخذها معه وتعالى صوت ضحكهما وصراخ لمى ظنًا منهما أنهما وحدهما بهذا المكان، لم يكن أي منهما يعلم أن هناك من يراقب بحسد كل ما يفعلونه.

وقفت عفاف إلى جوار زوجها وهو يلتهم الفتاة بعينه، ورمت عليه نظرة احتقار ولكنه لم يرها إلى جواره بالأساس؛ فألقت الكلمة عليه وذهبت: "وغد". هنا فقط احس بوجودها ودخل مسرعًا.

أما زوج العيون الخاص بالثعبان لم يكن لديه من يعاتبه أو يلومه على نظراته الحارقة لتلك الفتاة التي شعرت مثلما شعرت صباحًا تمامًا، ورجت كريم كي يصعد بها وتعللت بالتعب والإرهاق.

لم تكن عيون الرجال فقط من تراقب بل عيون النساء أيضًا، منهن من تحسد لمى على جسدها وجمالها ومنهن من تحسدها على زوجها الشاب الفتي، مثل منى جارتها التي وقفت تراقبهما وهي تتحسر على حظها الذي أوقعها بزوجها الذي يكبرها بسنوات كثيرة، وبطنه التي تتدلي من أمامه وطريقة كلامه المتعثرة التي تجعل كل من يقابله يستخف به.

***

تجمع سكان البرج مرة أخرى بشقة عفاف وأشرف، كان الجميع منهارًا كالعادة ولكن أكثرهم كانت رجاء، كانت تستنشق السجائر بفمها وكأنها أكسجين النجاة وتزفرها بسرعة وعنف كي تأخذ نفسًا

آخر، لم تفلح أي من المهدئات التي تتناولها في جعلها تخلد للنوم أو تهدأ لساعة واحدة، ووصلت بها أعصابها إلى حافة الانهيار، وفجأةً ومرةً واحدةً صرخت بهم جميعًا وهبت واقفة.

رجاء صارخة: سوف أعترف، سوف أذهب إلى النيابة وأخبرهم بكل شيء، لم أعد أستطيع التحمل، لربما تتركنا وشأننا إذا اعترفنا بذنبنا.

ورمت السجائر أرضًا وهمت للخروج وهي تبكي بشدة، ولكن زوجها أمسكها وأحكم قبضته عليها ومنعها من ذلك متجاهلًا صراخها الهستيري، ووقف أشرف ورشاد أمام الباب مهددين إياها بأنها لن تخرج من هنا على قيد الحياة إن لم تتراجع عن تلك التفاهات التي تدور بعقلها.

رجاء باكية: لا أحد يشعر مثلي، إنها لا تتركني ثانية واحدة، دعوني أريح ضميري من هذا العذاب، لم أعد أحتمل، لم أعد أحتمل أيًا من هذا.

ثم توسلت كل من رشاد وأشرف وانحنت على أقدامهما كي يتركاها تمر: لربما.. لربما انتهت تلك اللعنة إذا اعترفنا، علينا بالاعتراف.. تعلمون يمكننا.. يمكننا أن نعترف لزوجها بأن كل تلك الإشاعات هي كذب أجل.. أجل، من الممكن أن تتركنا وشأننا، إن الأمر يستحق المحاولة، دعونا نحاول أرجوكم دعونا نحاول.

كانت تتكلم بهستيرية شديدة وبدا وكأنها على حافة الجنون، تبكي وتتوسل وتعيد الكلمات بطريقة عجيبة حتى ظن زوجها والرجال جميعًا أن لعنتها سوف تصبح الجنون!

كانت الهمسة تزداد بأذنها، تزداد سرعة وخوفًا، وصوت وشوشة جديد يهمس بالموت، حاولت بكل مقدورها أن تسمع الاسم التي تهمس به الروح في أذنها ولكنها لم تفلح، فأخذت تتلوى على الأرض من الألم والجميع وقف يشاهدها وأعصابهم تزداد في الانهيار.

في غرفة نوم جلس شاب في العشرين من عمره متكئًا على السرير، يضع سماعات الهاتف بأذنه يستمع إلى الموسيقى عله يخرج من جو الكآبة المحيط بالمنزل.

يرفض والداه بشدة فكرة سفره إلى الخارج، أو حتى السفر مع أصدقائه، يخشون عليه من اللعنة.

فتح هاتفه وبحث في الاستوديو، أخرج صورة لها وتنهد بحسرة وهمس لنفسه: لقد كانت رائعة الجمال، جمالها يخطف الأنفاس، يجعلك تحبس أنفاسك خشية من اهتزاز تلك اللحظة.

مشككًا بنفسك لربما كان حلم! ليست بالجمال الخارق ولكنها هادئة للغاية وناعمة، صوتها يقطر عذوبة ورقة، تلك التركيبة جعلت من الصعب بل من المستحيل أن تراها ولا تعلق بذاكرتك.

حاول التودد لها أكثر من مرة ولم يفلح، ترى ما الذي يعجبها بزوجها على أية حال؟!

ظل هكذا يفكر بها تارة ويفكر بما قاله تارة أخرى، هي من تسببت بذلك، هي من تجاهلته ولم تعِره أي انتباه ولكنها لا تستحق تلك النهاية على أية حال، يا لها من خسارة لشيء فريد وجميل!

ومن ثم سمع همسًا غريبًا في أذنه جعل كل من حدقتي عينيه البنيتين تزداد في اتساع غريب!

الهمس: حاتم.

حاتم: أجل.

كان الهمس كالسحر، صوت أنثوي عذب تذوب له القلوب، أسر قلب وعقل الشاب.

الهمس: هل ما زلت تذكرني؟!

حاتم: بالطبع، وكيف لي أن أنسى أجمل فتاة رأيتها بحياتي؟!

**الهمس بعذوبة أكثر من ذي قبل: أتريد مقابلتي.**

**حاتم: أجل، بالطبع أريد.**

**الهمس: حسنًا، إذا عليك فقط بأن تتبعني.**

**سار خلفها كالمنوم مغناطيسيًا وخرج من غرفته ووصل إلى الصالة، وفتح البلكون وألقى بنفسه منها.**

**هنا فقط استطاعت رجاء التي تتلوى راكعة على أربع من الألم، فهم الأصوات التي تسمعها، تكرر صوت الهسهسة بأذنها قائلًا كلمة واحدة:**

**"حاتم، حاتم، حاتم.."**.

**جحظت عيناها من المفاجأة وسدت أذنها وصاحت مرة واحدة بهستيرية: إنه حاتم، إنه حاتم علينا بإيجاده، بُني.**

**في نفس اللحظة التي صرخت بها منى من البلكون بكل الرجال: أنقذوا حاتم إنه يغرق.**

**ولكن الوقت كان قد فات على ذلك!**

***

في المتجر الكبير الموجود بنهاية هذا الحي السكني الراقي حيث يتقابل نساء وفتيات هذا الحي ويلقون على بعضهم التحيات أثناء جرهم عربات التسوق.. تمشت ريم وهي فتاة في الثالثة والعشرين من عمرها، نحيفة وطويلة تعقد شعرها القصير إلى الخلف في ذيل حصان وترتدي نظارة ذات إطار أسود عريض، تبحث بين المشتريات وتضع الأغراض في العربة أمامها وتعلق في رقبتها الكاميرا الخاصة بالتصوير، توقفت عربة أمامها تجرها امرأه في الثامنة والثلاثين من عمرها وبها طفله بالرابعة، وما إن رأتها ريم حتى رفعت الكاميرا المعلقة برقبتها والتقطت صورًا للطفلة التي بدأت تبتسم لها بتلقائية.

هناء: مرحبًا ريم كيف حالك؟ إنك تدللين الصغيرة بصورك الرائعة.

ريم: بخير يا سيدة هناء شكرًا لك، إن لها وجهًا رائعًا يجذبني على الفور، هل أعجبتك الصور التي أرسلتها لك الأسبوع الماضي؟!

هناء: أجل، كثيرًا، ووضعت اثنين منهم بالصالة، أنت حقًا موهوبة يا ريم.

أخذت ريم تقلب في الصور ثم تذكرت شيئًا وأخذت الكاميرا إلى السيدة هناء كي تسألها عن شيء يدور ببالها.

ريم: أود منك معروفًا يا سيدة هناء.

هناء: بالطبع، تفضلي وسوف أنفذه إذا كنت أستطيع.

ريم: أود منك أن تعرفيني على هذه الفتاة.

نظرت السيدة هناء في الكاميرا وعرفت صاحبة الصور على الفور.

هناء: آه إنها لمى، لقد أتت قريبًا منذ حوالي خمسة أشهر، لا أعرف يا ريم، تلك الفتاة خجولة للغاية ولم أتحدث معها سوى مرات قليلة جدًا.

ريم: ولكنها تسكن معك بنفس الطابق، لا بد أنكما تتحدثان يوميًا.

هناء: أخبرتك أنها خجولة للغاية ولا تتحدث مع أحد.

ظهرت الخيبة على وجه ريم ولم تحتمل السيدة هناء رؤيتها هكذا.

هناء: حسنًا يا ريم، لو أن الأمر ضروري بإمكاني أن أحاول مساعدتك.

ريم: أود أن أصبح صديقتها بشدة، إنها رائعة الجمال، أتمنى لو ألتقط لها عدة صور، كما أن لديها ذوقًا رائعًا في اختيار الألوان، لو رأيتِ منزلها إنه تحفة فنية، وهي من تفعل تلك الأشياء بيدها، أتمنى لو تعلمني أي من تلك المشغولات.

هناء: وكيف علمتِ أن منزلها رائع الجمال، هل زرتِها من قبل؟!

عضت ريم على شفتيها من الخجل: لا، ولكن تعلمين أنني لا أترك الكاميرا من يدي ورأيتها من فترة و.. و.. خاصية تقريب الصورة رائعة في هذه الكاميرا، فرأيت منزلها، إنه غارق في الألوان بطريقة رائعة، والتقطت له عدة صور عليك برؤيتها.

وأخذت تبحث في الكاميرا إلى أن وجدتهم، بينما انحنت السيدة هناء وأرجعت خصلات شعرها إلى خلف أذنها وتأسفت من ريم رافضة.

هناء: آسفة يا ريم لا أود رؤيتها، كما أخبرتك إنها خجولة للغاية، ولم تدعُ أحدًا قط إلى منزلها، لربما لا تريد لأحد أن يراه، ولا يمكنني أن أرى الصور، سوف أتلصص عليها بهذا الشكل.

خجلت ريم كثيرًا ونظرت إلى الأسفل وشعرت السيدة هناء بحرجها.

هناء: أعلم أن نيتك خير يا ريم ومع ذلك يظل هذا الفعل غير لائق.

هزت ريم رأسها بأسى ثم أمسكت فجأة بيد السيدة هناء ورجتها بهمس: إنها خلفك، الفتاة لمى، رجاءً عرفيني عليها فقط وأنا سوف أقوم بالباقي.

بالفعل كانت لمى تعبر الممر وتجر العربة أمامها وعربتها ممتلئة للغاية، ولكنها لم تكن تنظر نحو أي شخص، فقط تجلب الأغراض بسرعة وعصبية أيضًا، حالما مرت من جوارهن صاحت الصغيرة باسمها فالتفتت لمى نحوهن وسعدت ريم كثيرًا.

الصغيرة: أنا الأخرى اسمي لمى.

لمى بارتباك: هذا رائع، مرحبًا يا سيدة هناء.

قالتها بخفوت شديد وعلمت ريم ما تعنيه بأنها شديدة الخجل، وانتهزت الفرصة وتحدثت هي ومدت ذراعها نحو لمى.

ريم: مرحبًا بكِ، أنا ريم جارتك من البرج المقابل لك، أراكِ كثيرًا، ألا تشبهين علي؟!

وأشارت على وجهها مستفهمة، ولكن لمى ارتبكت أكثر وهزت رأسها نافية، وجددت ريم أن تلك المحاولة فاشلة، ولكن لمى كانت باهرة الجمال، سحرتها تمامًا فرفعت الكاميرا من على صدرها واستأذنتها كي تأخذ لها صورة.

فركت لمى ذراعها العارية وانتبهت ريم إلى بشرتها الرائعة وأصرت على التقاط صور لتلك الفتاة بأي ثمن.

كانت لمى مرتبكة كثيرًا، تفرك ذراعها، ونظرت في الاتجاه الآخر ثم تمتمت: لا أظنها فكرة جيدة.

ثم حنت رأسها بأدب وتمتمت بخفوت: نهاركما سعيد.

وذهبت في طريقها وما كادت تخطو خطوتين حتى ظهرت السيدة رجاء بوجهها.

رجاء: هذا رائع وأخيرًا وجدتك، نهارك سعيد يا لمى.

لمى بارتباك: نهارك سعيد.

نظرت رجاء إلى كل الأغراض الموجودة بعربة لمى، فعربتها ممتلئة للغاية وهم شخصين فقط!

رجاء بمكر: وأخيرًا قررت دعوتنا إلى منزلك.

وأشارت إلى الأغراض بيدها.

: هل هذه أغراض الحفل؟!

ارتبكت لمى ولم تجِبها بشيء، وحنت رأسها لها بأدب وأخذت عدة أشياء ومضت في طريقها هاربة من نظرات رجاء المستنكرة.

بينما اغتاظت رجاء بشدة من تلك الفتاة، لمَ حصونها منيعة هكذا؟ ولكن ليس علي، أنا رجاء، حالما أرغب بشيء آخذه، وهي ليست بشيء صعب علي. ومضت في طريقها ناحية كل من هناء وريم.

رجاء: نهاركما سعيد.

رد الاثنان عليها: نهارك سعيد يا سيدة رجاء.

وأردفت ريم بعذاب: سوف أجن إن لم أتعرف عليها، لا بد أن أتعرف عليها، مستعدة لفعل أي شيء.

رجاء بفضول: من؟!

ريم: لمى.

اشمأزت رجاء: تلك الفتاة لا أعلم لمَ يوليها الجميع اهتمامًا زائدًا، إنها غير طبيعية بالمرة، يقولون إنها ممسوسة.

هناء بعتاب: لا يجوز قول هذا البتة يا رجاء، لم نر من الفتاة أي سوء.

رجاء رافضة: بلى، إنها غريبة الأطوار وفتاة فاسدة أيضًا.

نظرت هناء إلى الناحية الأخرى بنفاد صبر واستأذنت وتركتهما، فهي لم تخض بسيرة أحد من قبل ولن تفعلها ولن تستطيع إثناء رجاء عن قرارها.

ريم بفضول: كيف؟ ما الذي تعنيه بغريبة الأطوار؟

رجاء بتلذذ: إن لها تصرفات عجيبة ولا تتحدث مع أحد أبدًا، ومتعالية ومتكبرة لأقصى درجة و.. ويقولون أشياء أخرى ولكنني لم أتأكد منها بعد.

ريم بفضول شديد: أشياء مثل ماذا؟!

كان الحديث بسيرة الناس إحدى هوايات رجاء المفضلة، لذلك كانت تتلذذ بعذاب الفضول لدى ريم، وتطيل هذا الحديث كي تجعله مشوقًا أكثر وأكثر، ولذلك لم تمانع بوضع نكهتها الخاصة عليه أيضًا كي يصبح الحوار أكثر إثارة.

رجاء هامسة: كلما ذهب زوجها المسكين إلى العمل أتى رجال غرباء لها وحدث هذا أكثر من مرة.

شهقت ريم رافضة، صحيح أنها لا تعرفها ولكنها تشعر بطيبة غريبة نحو هذه الفتاة.

ريم: مستحيل يا سيدة رجاء، لا ترددي هذا الكلام من فضلك، لا تؤذيها إنها فتاة طيبة، ولا يبدو عليها أي مما تقولينه، أُقر أنها تتصرف بغرابة ولكني أقسم إنه للغز ما، لا يعلمه أحد منا.

تراجعت رجاء لحدة ريم: دعيني أنهي القصة، السيد رائد هو من أخبرنا بذلك، إن هذه الفتاة غير طبيعية وتتحدث مع نفسها بطريقة عجيبة، وتردد كلمات وهمهمات لا معنى لها هكذا كنا نظن، ولكن منى سجلت لها مرة، وعندما سمعها السيد رائد أخبرنا بأنها طلاسم للعنات، تلك الفتاة ممسوسة ويبدو أن المس هو ما يجبرها على تلك الأفعال، إنها تبدو بريئة وضعيفة من الخارج ولكنها فاسدة حتى العطب من الداخل، عليكِ بالابتعاد عنها يا ريم ولا تقربيها بأي شكل حتى لا تتأذى سمعتك، تعلمين أن الناس تتحدث ولا تترك أحدًا في شأنه! لا تؤذي نفسك.

تنحنحت ريم وتراجعت، فكما خاضت رجاء بسيرة لمى يمكنها أن تخوض بسيرتها هي الأخرى: لقد أردت التعرف عليها من أجل أن ألتقط لها صورًا، إن وجهها يجذب الكاميرا جذبًا، وإذا دخلت بعدة صور لها في المعرض حتمًا سوف أفوز، وكنت أتمنى أن أنال مساعدتك من أجل هذا، تعلمين أن عملي هو حياتي.

وأشارت بيدها نحو الكاميرا المعلقة برقبتها.

فكرت رجاء في الأمر برهة، فهي تعشق المساعدة كي تحمل الناس عبء الشكر والعرفان كلما رأوها.

رجاء: إذا كان من أجل مستقبلك فلا بأس، سوف أرى ما أستطيع فعله، إنها تنزل أحيانًا إلى الأسفل، سوف أهاتفك حالما تسنح لي الفرصة.

ريم بتملق: هذا رائع يا سيدة رجاء، لطالما ساعدتِ الشباب، سوف ألتقط لك صورًا رائعة، وداعًا.

وتركتها ومضت وهي تزفر الهواء بارتياح لانتهاء هذا الحديث المزعج، بينما رجاء سوت من شعرها وعدلت من هندامها وتقدمت في تفاخر.

(3)

أمسك السيجارة يتنفس منها بعصبية شديدة، كانت سيجاره مفخخة وقد قارب على الانتهاء منها، ومن ثم تجرع كأسًا من الخمر مرة واحدة، كانت حارقة للغاية ومؤلمة جعلته يتأوه بعذاب، وحاول إرجاع رأسه إلى الخلف ولكن الألم لم يذهب، لا يذهب أبدًا، لقد تورم رأسه بشدة من تلك الضربة التي تلقاها منها على حين غفله ففتحت رأسه، رغم أن الضربة لم تكن شديدة القوة فإنها أحدثت ضررًا بالغًا بها، ضررًا تسبب بعاهة دائمة برأسه.

بالبداية ظن أن الطبيب سوف يخيط له غرزتان وينتهي الأمر، وبالفعل تمت الخياطة وتضميد الجرح، وبعد ذهابه للمنزل أراح رأسه للخلف واستيقظ بعد ربع ساعة، وجد رأسه ينزف من جديد، وعندما ذهب للطبيب أصبحت الغرز أربع، وهكذا كلما نام ازداد الجرح اتساعًا حتى خيط آخر مرة بثلاث

عشرة غرزة، إنه في اتساع دائم وفي نزيف مستمر، لم يعد يذهب للعلاج فالكل يشمئز من أن الدماء تسيل عليه والقيح والرائحة النتنة تنبعث من ذلك الشق الذي حفر برأسه.

أمسك بزجاجة الخمر وتجرع منها بشراهة ومن ثم صرخ من السائل الحارق الذي يكوي حلقه، ثم حنى رأسه وسكب من الخمر على الجرح، وحالما فعل ذلك أخذ يصرخ بشدة من الألم، رمى بالزجاجة وأخذ يتلوى في كل مكان برأسه، يصرخ بكل قوته متوسلًا بكل ما لدية من طاقة وقوة بكلمة واحدة "ارحميني، ارحميني، ارحميني.."

وظل يكررها إلى ما لا نهاية..

ولكنها لن تفعل..

"هو الملام في كل ذلك، هو من زرع تلك الأفكار اللعينة برأسنا، عليه بأن يدفع الثمن، عليه بالاعتراف، لربما إذا اعترف أنه السبب فيما حدث لتلك العاهرة حلت اللعنة من علينا".

كان الكلام لمنى محمرة الأعين فاقدة الأعصاب.

كانت رجاء جالسة تشرب السجائر كعادتها بشراهة دون أن تنبس ببنت شفة، هذا هو حالها منذ وفاة ولدها الأكبر حاتم، تشرب السجائر ودموعها تنساب بهدوء دون صوت، والندم والألم ينهشان فيها بغير شفقة، وهي جالسة مستسلمة لهما كل الاستسلام، ولكن كلمة منى دفعتها اليوم للخروج عن صمتها، دفعتها للضحك بعد خمسة أيام من الصمت المطبق حدادًا على أغلى ما فقدته في حياتها.

ضحكت رجاء مقهقة ردًا على كلام منى، ضحكت بشدة حتى إنها أخذت تسعل بعد مدة من كثره ضحكها، وحالما انتهت رجعت برأسها إلى الوراء وسحبت نفسًا طويلًا من سيجارها ثم تحدثت بهدوء.

رجاء: بربك يا منى هل ما زلت تعتقدين أن الفتاة عاهرة؟!

منى بارتباك: ب بالطبع. وإلا. وإلا لمَ فعلنا ما فعلناه بها إذًا؟!

ضحكت رجاء مرة أخرى ولم تجب، كانت عفاف هي من أجابت بلوعة: لقد فعلنا ما فعلناه لأنك أنت العاهرة يا منى.

صاحت منى: اخرسي أيتها الحمقاء.

عفاف: ترى لمَ لا يحضر زوجك إلى أي من تجمعاتنا هذه يا منى؟!

لم تجب منى فأردفت عفاف: لأنه يعلم بحقيقتك القذرة، لا تبتئسي هكذا، الجميع هنا يعلمون، نظراتك لكريم كشفتك يا منى؛ لهذا رغبتِ في التخلص من الفتاة، نحن العاهرات يا منى دعونا نواجه الحقيقة معًا، جميع من في هذا البرج الملعون، ذوو قلوب ملوثة ووسخة عدا زوجك والسيدة هناء، وحدهما فقط من سوف ينجوان، وحدهما فقط من يضعان رأسيهما على الوسادة وينامان.

أشرف: اصمتي يا عفاف.

كان أشرف منهارًا تمامًا وحالته سيئة للغاية، ولكن عفافًا لم تصمت وزمجرت عليه. عفاف: لا لن أصمت مرة أخرى، أيها الحقير، أنا اعترف أمامكم الآن أن الفتاة بريئة، وأنا أردت الخلاص منها كي يكف زوجي المصون عن تتبعها بنظارته في كل مكان، وأنتِ يا منى أردت الخلاص منها كي تبحثي

عن فرصة مع كريم، وأنتن كانت الغيرة تلوك بقلوبكن لجمالها، وأما عن أشباه الرجال هؤلاء فرأوا في كلام رائد القذر فرصة مناسبة كي ينالوا قطعة من الحلوى.

صمتت نتيجة صفعة مدوية من زوجها أشرف وهو يصيح بها: اخرسي يا امرأة.

عفاف بغل: لا لن أصمت البتة أيها العفن، لقد ضاع مني هيثم ولكني سوف أدافع عن لبنى وهند حتى آخر لحظة من عمري، سوف أذهب إلى كريم، على بمعرفة لمَ تنتقم من أولادنا، لمَ لا تنتقم منا نحن، نحن من أذاها بالنهاية، سوف أبحث عن قبرها، سوف أحرق جثتها، سوف أفعل كل ما يتطلب الأمر حتى أنقذ فتاتيَ، هل هذا واضح؟ لن أقف مكتوفة الأيدي بعد الآن.

ملأ صراخها المكان بالصمت، أجل.. صمت الجميع بعد انكشاف نواياهم القذرة بعضهم أمام بعض، لم يعد هناك من مجال للتمثيل والادّعاء بعد اليوم، وألقت نظرة اشمئزاز على زوجها وقالت بقرف ممزوج بالغل.

عفاف: حريًا بك تسليم نفسك مع ذلك الوغد ذي الرأس الدامي المتقيح رائد، ففي نهاية الأمر أنتما من ابتكر تلك اللعبة، لربما حينها تركت أولادنا وشأنهم.

***

كان الظلام شديدًا، بالكاد يتسرب شعاع صغير من الضوء إلى داخل الغرفة، كان كريم يجلس في سحابة من الدخان الخاص بسجائره، ومكان مظلم ومفحم، ولكن شعاع الضوء المتسرب من الشباك هذا أنار صورة زوجته، ألقى بالسيجارة من يده وبكى من جديد حالما أمسك بالإطار، بكى

بشدة وبحرقة والدموع أخذت تتساقط من عينيه بغزارة، بكى كطفل صغير فقد أمه وعلم بأنها لن تعود من أجله البتة، وأخذ يتمتم بالكلمات: لمَ يا لمى؟ لمَ فعلتِ ما فعلته؟! لمَ يا لمى؟ بعد كل ما مررنا به، بعد كل هذا الحب، لمَ في هذا الوقت بالذات، لمَ تخليتِ عني الآن، لقد كان حلمنا على وشك الاقتراب، لمَ يا لمى؟ لمَ؟!

تعالت شهقاته وانهار في نوبة من البكاء الحار، أخذ الصورة ووضعها أمامه وأخذ يتأملها، ودفعته الذكريات إلى أول مرة التقى بها حب عمره..

كان يسير في الحي الذي يسكن به مع عمه فهو يتيم الأب والأم، منذ الصغر وهو يتنقل من منزل لآخر.. منزل عمه هذا، منزل خالته، منزل خاله، كلما مل منه أحد نقله إلى المنزل الآخر، وهو كان يتنقل بصمت، حسنًا.. لقد اعتاد هذا الأمر.

كان يسير بهدوء وقت الغروب ومن ثم سمع صوتًا مكتومًا خلف شجرة عملاقة من الأشجار، لم يكن أحد يمر بالشارع سواه هو، ذهب بحذر فوجد الآتي: شاب في العشرين من عمره يكتم فم فتاه صغيرة ويخبرها إن لم تأتِ معه بهدوء فسوف تكون هذه هي نهايتها الحتمية.

رغمًا عنه صاح بشدة: لن تأتي معك أيها القذر.

ولكمه لكمة عنيفة أسقطت الشاب أرضًا، ومن ثم انهال عليه بالسباب والضرب، حتى فر الشاب راكضًا من أمامه فالتفت إلى تلك الصغيرة الباكية، ولكن حالما تأملها من جديد علم بأنها ليست صغيرة للغاية.

كريم: اهدئي رجاءً لقد ذهب، لا خطر عليكِ الآن.

ولكنها بكت أكثر حالما قال هذه الكلمات، أخرج منديلًا وأعطاه لها وأخذته هي بتردد شديد منه، ومن ثم انحنى كي يلتقط لها الكتب التي سقطت منها أثناء مهاجمة هذا الوغد لها، وحالما رفع رأسه وشاهدها بعد أن مسحت وجهها وكفت عن البكاء ذهل لشدة جمال هذه الفتاة ذات العيون الخضراء الواسعة والأهداب الطويلة والفم المحمر الممتلئ والبشرة البيضاء شديدة النقاء، إنها ملاك يسير على الأرض بتنورتها القصيرة اللبنية التي تصل إلى ركبتها وقميصها الأبيض قصير الأكمام، وشعرها البني الحريري ينساب على أكتافها، وتضع طوقًا على شعرها رفيعًا للغاية لبني اللون، وقرطًا صغيرًا فضي اللون.

كانت رائعة الجمال وكل شيء فيها بريء وبسيط، أخذ نفسه من دهشته هذه وحاول التكلم كي لا تخشاه هو الآخر.

كريم: هل صرتِ أفضل؟ سوف أوصلك للمنزل كي لا يتتبعك هذا الوغد، علي بإخبار والدك وسوف نبلغ عنه، وسوف أشهد معك، لن يتعرض لكِ مرة أخرى، لا تخشي شيئًا البتة.

نظرت للأسفل وتساقطت دموعها من جديد وضمت الكتب إلى حضنها.

كريم: اللعنة على هذا! رجاءً لا تبكي، هل تخشين من والدك؟!

هزت رأسها نافية ثم تمتمت: لقد توفي أبي.

كان صوتها رقيقًا وصغيرًا للغاية أذابه حزنًا لحالها، تمتم بصدق: آسف للغاية، حسنًا.. ماذا عن والدتك؟!

نظرت إلى الأسفل مرة أخرى وتساقطت دموعها، فسأل وهو خائف: هل.. هل توفيت هي الأخرى؟!

فهزت رأسها موافقة، اللعنة على حظ هذه الفتاة! تنهد بحيرة وسأل.

: مع من تسكنين إذًا؟

لمى بخفوت: مع عمي.

كريم: حسنًا ما هو رقم منزلك؟!

لمى: 9.

سوف أوصلك وعليكِ بإخبار عمك هذا فور وصولك يا.. ما اسمك؟!

تمتمت: لمى.

كريم: حسنًا يا لمى، عليكِ بإخباره عن ما حدث، عليكِ بعمل بلاغ كي لا يتعرض لكِ مرة أخرى، هل هذا واضح؟!

هزت رأسها نافية وتمتمت بأسى: لا أستطيع.

كريم: لمَ؟!

لمى: الفتي الذي لكمته منذ قليل ما هو إلا ابن عمي.

وبكت من جديد بينما صعق كريم وضرب كفه برأسه ومن ثم مسد شعره علّه يفيق، ثم سأل: أهو ابن عمك الذي تسكنين معه؟!

هزت رأسها موافقة ودهش هو قائلًا: اللعنة على حظك يا فتاة!

نظرت للأسفل وتمتمت بأسى: لقد فعلت ما بوسعك، شكرًا لك.

وهمت بالذهاب ولكنه استوقفها: أخبري عمك إذًا.

لمى: لا أستطيع، لن يصدقني، لن يصدقني أحد البتة.

كريم: رجاءً استمعي لي، عليك بإخبار عمك، إنكِ تعيشين معه بنفس المنزل، سوف يأخذ عمك موقفًا أنا متأكد من هذا.

تتبعها بهدوء إلى أن وصلت إلى منزلها، وانتظرها في اليوم الذي يليه في نفس المكان، وبالفعل مرت من أمام الشجرة وهي تضم الكتب إلى صدرها وشعرها يتدلى بدون طوق يخفي وجهها، ترتدي نفس القميص الأبيض ولكن التنورة كانت وردية هذه المرة، وقف أمامها وفزعت هي.

كريم: آسف. آسف إنه أنا، كيف حالك يا لمى؟!

نظرت إلى الأسفل ولم يرَ شيئًا مطلقًا من وجهها سوى شعرها الحريري المسدل، حاول أن يحدثها ولكنها لم تجبه ولم ترفع رأسها، رفع ذقنها بهدوء شديد ثم شهق: اللعنة من فعل بكِ هذا؟!

كانت دموعها تنزل بهدوء ولكنها أخذت تعض على شفتيها من الألم، أزاح شعرها عن وجهها ورأى مكان صفعة على وجهها وخدش بجبهتها، وسألها بلهفة وهو يتألم: هل هاجمك مرة أخرى؟ ما الذي فعله يا لمى؟ تحدثي معي من فضلك.

تمتمت بأسى: عمي هو من فعلها، لم يصدقني وأقسم بحرماني من التعليم إذا نطقت بشيء مثل هذا.

كريم: يمكنني.. يمكنني الذهاب له يا لمى.

لمى: لا أرجوك، دعني وشأني، إذا حرمت التعليم فلا أمل لدي مطلقًا بترك هذا المنزل، اتركني وشأني من فضلك.

وهمت بالذهاب ولكنه منعها ورجاها كي تذهب معه لمكان هادئ كي يجلسا معًا، وذهبت معه هي على مضض بعد الكثير من التحايل منه.

أخذها إلى حديقة قريبة من ذلك الشارع وجلسا معًا على أحد المقاعد المستطيلة، كانت خائفة للغاية وكان هذا واضحًا عليها.

كريم: لا تخشيني يا لمى، لن أوذيكِ البتة، أقسم بهذا، أخبريني عن حياتك بهذا المنزل، كيف تعيشين مع هذا الوغد تحت سقف واحد؟

في البداية كانت صامتة، ولكن كريمًا أخذ يرجوها، ويبدو أنها وجدت من يمكن أن تفضي له بعذابها هذا أخيرًا.

توفيت والدتها أثناء ولادتها، وبعد خمس سنوات لحق بها والدها، تاركًا إياها مع عمها الوحيد، لا أحد يحبها بتاتًا بهذا المنزل لذا لا تخرج من غرفتها سوى نادرًا من أجل الذهاب للحمام، وعندما يكون ابن عمها بالمنزل لا تخرج من غرفتها مطلقًا.

سألها متعجبًا: ألا تأكلين معهم مطلقًا؟

لمى: لا أحب تناول الطعام معهم، ينظرون لي بكره شديد يجعل الطعام يتوقف بحلقي.

كريم: وابن عمك كيف تتجنبيه هكذا؟!

لمى: إنه بكلية خاصة بعيدة عن هنا ولا يأتي سوى بالعطلات.

كريم: وقبل أن يذهب للكلية؟!

ازدردت لمى لعابها وقالت بتردد: لم تكن الأمور هكذا دائمًا على هذا النحو، لقد كانوا يكرهونني دائمًا ولكن كانوا يضربونني، لا يدعوني ألعب معهم، أو يجذبونني من شعري ولكن منذ عام ونصف بدأ.. بدأ يضايقني على نحو آخر.

بكت لمى وأراد كريم أن يرفع عنها الحرج وتمتم من بين أسنانه: ذلك القذر لو كنت أعلم لهشمت رأسه وأرحتك منه إلى الأبد.

مسحت دموعها وهدأت قليلًا لتفهمه هذا ثم رفعت رأسها وسألت بتردد: أحقًا تصدقني؟!

كريم: بالطبع أصدقك يا لمى، أنت لا ذنب لكِ البتة، إنه وغد وسوف ينال عقابه يومًا ما، لا تقلقي، كما.. كما أنني مررت بظروف مشابهة لظروفك تلك، أنا الآخر لا أب ولا أم لدي.

رفعت رأسها وظلت تحدق به فابتسم لها وأردف: أجل، توفي والداي بحادث وأنا في العاشرة، ومنذ ذلك الحين وأنا أتنقل من منزل لآخر.. عمتي خالتي، أو خالي، والآن أعيش مع عمي، حسنًا سوف أخبرك بسر، حينما كنت بالصف الثاني الإعدادي كنت أمكث مع خالي الأكبر، لم يكن أولاده أو زوجته يطيقونني، ودائمًا ما يفتعل ابنه المشاكل ويلصقها بي، وابنته الصغرى كانت مغرورة للغاية ودائمًا ما تلصق بي التهم دون أي ذنب، وفي يوم عيد ميلادها جهزوا لها قالب حلوى رائعًا ودعت هي كل فتيات مدرستها تقريبًا! تسللت إلى المطبخ وتناولت القالب كله، وعندما دلفت تلك المغرورة مع أصدقائها صرخت وأخذت تبكي بشدة، وكالعادة صاحوا باسمي وذهبت لهم، ولكنني كنت سعيدًا للغاية لأنني فعلتها، وأخيرًا سوف أعاقب على شيء فعلته، وقفت لمدة ساعة رافعًا يدي في مواجهة الحائط، ولكنني كنت سعيدًا للغاية لأنني انتقمت منهم، بعدها خفت مضايقاتهم كثيرًا لأنهم علموا بأنني سوف أنتقم على طريقتي الخاصة.

ضحكت لمى كثيرًا لما قاله وسعد هو وأردف: ولكن الحال لم يكن بهذا السوء دائمًا، لقد كانت خالتي حنونة، ولكن زوجها كان يقذفني بنظرات غريبة، أما عمتي وأولادها وزوجها كانوا يتجاهلون وجودي تمامًا وكأنني إبريق ماء! المهم أن الأيام تمر وها أنا بعامي الرابع من كلية الهندسة وسوف أتخرج بعد عام، وأحلق بعيدًا عن كل هذه الذكريات.

لمى: هنيئًا لك، ما زال أمامي خمس سنوات ونصف ولا أعلم ما الذي ينوي أن يفعله عمي بي بعد ذلك.

كريم: لطالما تمنيت أن يكون لي أخت صغيرة أرعاها، ما رأيك أن تكوني أنت هذه الأخت؟!

كان يعلم أنه كاذب وأنه يريدها أن تصبح أكثر من أخته، ولكنه لم يكن يريد أن يخيفها، أراد أن يكتسب ثقتها.

لمى: يكفي ما فعلته من أجلي، لا أود أن أصبح عبئًا عليك.

كريم: أنا لا أقبل بالاعتراض يا فتاة، منذ اليوم أنا أخوكِ ومسؤول عنكِ مسؤولية كاملة، وأنا لا أقبل بأي اعتراض، وأول أمر سوف يصدر مني هو.. انتظري لحظة هنا حتى آتي بذلك الأمر.

تعجبت لمى كثيرًا من هذا الشاب، ما هذا الذي يقوله؟! ولكنها سعيدة للغاية بالحديث معه، لم تتحدث مع أحد منذ وقت طويل للغاية.

عاد الشاب وهو ممسك بمثلجات: هذا هو الأمر الأول وعليكِ بتنفيذه في الحال وإلا سوف أعاقبك.

ضحكت لمى وتناولت الكوب منه: يا له من أمر لذيذ!

كانت معدتها تصدر أصواتًا طوال الجلسة ولكنه لم يجد أي محل قريب كي يجلب لها طعامًا، حالما أنهت مثلجاتها وقفت وأخبرته بوجوب ذهابها كي لا يعاقبها عمها، وحينما مر على محل دلف وملأ كيسًا بالمعجنات والحلوى، وعندما قدمه لها سالت دموعها من جديد وأمسكت بمعدتها، لقد كانت تأمل بأن لا يكون سمعها، ولكنها كانت مخطئة، فرت راكضة من أمامه تداري خزيها منه ولحقها هو بصعوبة.

أمسك بذراعها وأوقفها: لمى، لقد عايشت ما تعيشينه الآن، دعيني أساعدك يا لمى، أعلم أن عمك عاقبك بأكثر من ذلك.

وأشار إلى وجهها وأردف: وبما أنك كبيرة كي يمنع عنكِ الحلوى لا بد وأنه منع عنكِ الطعام، رجاءً يا لمى لا تخذليني.

لمى بألم: لا أستطيع، لا أريد شفقتك، دعني أذهب من فضلك.

كريم: هذه ليست شفقة، إنه حب يا لمى، أنا أخشى عليكِ وأود الاهتمام بكِ، لا تمنعيني من هذا رجاءً.

أصدرت معدتها أصوات عالية مرة أخرى وخجلت كثيرًا ثم أخيرًا تكلمت: لا أستطيع أن آخذها على أي حال من الأحوال، لقد منع عني المصروف ولن أستطيع الدخول بهذا الكيس.

سألها عن موقع غرفتها ومن ثم تابعها إلى أن دلفت المنزل، ولكن اللعنة على هذا فالخطر عندها كامن بداخل المنزل! بعد أن دلفت سمعته هامسًا من أسفل الشباك خاصتها، فتحت الشباك وتسلق هو وأعطاها الكيس ومن ثم همس لها.

: بالمناسبة، اسمي هو كريم.

ومنذ ذلك اليوم وهو أمانها وحمايتها، لا يتركها وحدها أبدًا، ويهتم بها وبأدق التفاصيل بحياتها.

***

وقفت خلف النافذة تراقب المنزل ولكن المنزل لم يكن به أحد، ورغم أنها متأكدة من ذلك مائة بالمائة فإنها تراقب لأنها تشعر بها، إنها لا تزال بتلك الشقة، إنها متأكدة من هذا.

سقطت ريم أرضًا وبدأت بنوبة من البكاء وأخذت تتمتم: إن لمى بريئة، معي دليل براءتها، علي بإيجاد كريم، لا يجوز أن يظن بها السوء، إن لم أستطع إظهار براءتها للجميع، علي إذًا بإخبار كريم على الأقل.

أمسكت الكاميرا بيد مرتعشة وأدارت الفيديو، وحالما سمعت صوت استغاثة لمى تكورت على نفسها من جديد وبكت بشدة.

دخلت والدتها وحاولت أن تجعلها تقف على قدمها مرة أخرى، ولكنها لم تفلح، كانت ريم منهارة أكثر من أي مرة.

رجت والدتها بشدة: اسمحي لي بالذهاب للنيابة، اسمحي لي بإراحة ضميري، سوف أموت، إن الفتاة بريئة، أقسم أنها بريئة يا أمي.

ربتت الأم على ابنتها بشدة: أصدقك يا حبيبتي وأعلم أن المسكينة بريئة ولكنني أم يا ريم، كيف أتركك تذهبين، ماذا لو اصابتك اللعنة؟ أنت كل ما لدي، كيف لي أن أتركك هكذا؟!

هزت ريم رأسها رافضة: لم أعد أستطيع التحمل، لم أعد أستطيع.

أخرجت الأم بيد مرتعشة ورقة من جيبها: إنه عنوان كريم، أخيرًا عثرت عليه.

دبت الحياة في ريم التي كانت تتلوى على الأرض وأخذت الورقة وكأنها طوق النجاة، وأخيرًا سوف تريح ضميرها.

(4)

انتظرها أمام المدرسة، كان أول يوم للامتحانات الخاصة بها، وحالما رآها ذهب وأمسك بيدها وأخذها بعيدًا إلى مقهى هادئ.

لمى بغضب: هل جننت يا كريم؟ ماذا لو رآك أحد وأخبر عمي؟!

كريم بلهفة: لا يهمنى، هيا أخبريني ما الذي فعلته؟ هل كان الامتحان سهلًا؟

ضمت شفتيها: حسنًا لقد فعلت ما بوسعي، أعتقد أنني أبليت جيدًا عدا قطعة النصوص الثانية، عدا ذلك كان الامتحان جيدًا.

كريم براحة: جيد جيد لا بأس إذًا، إنه رعب الثانوية العامة، سوف تتجاوزينه العام القادم.

ابتسمت لمى: لا أصدق هذا، أعرفك من عطلة منتصف العام فقط، أي نصف عام دراسي، أشعر أنني أعرفك منذ ولادتي يا كريم.

تنهد براحة وطلب لها شطيرة وعصير ومن ثم سألها: ألا يفرغ المنزل عندك أبدًا؟!

كانت جوعى للغاية، أخذت تلتهم الشطيرة وهزت برأسها غير منتبهة: بلي بالطبع يفرغ إنهم يخرجون كل.. وابتلعت الطعام وصمتت وسألته بوجوم: لمَ تسأل يا كريم؟!

كريم: أود المجيء لك.

لمى: ولكنك تأتي بالفعل كل يوم!

لقد كان يزورها يوميًا ويمدها بالطعام أو يسأل عن أحوالها من الشباك، كان يقف على الحافه الناتئة من الجدار ويحاول استطالة جسده كي يرى وجهها.

كريم بإلحاح: هيا يا لمى أخبريني متى يفرغ المنزل؟!

تأملته جيدًا ثم تمتمت: لا أظن هذه فكرة جيدة.

كريم: اللعنة يا لمى، ألا تثقين بي؟!

وقفت لمى وتركت الطعام: علي الذهاب.

حملق كريم غير مصدق وأجلسها بالقوة: لا أصدق هذا حقًا، على العموم لقد أردت تركيب قفل لغرفتك، الامتحانات سوف تنتهي بعد أسابيع وابن عمك الوغد سوف يعود، لا يمكن أن تنامي الصيف كله على الكرسي خلف الباب يا لمى.

عضت على شفتيها: لمَ تريد المنزل فارغًا إذًا؟!

كان كريم غير مصدق شكها هذا: كيف لي بأن أدق المسامير بالباب دون أن ينتبه أحد؟!

غضب كريم منها لأنها تشك به وحزنت هي بشدة، وعندما أوصلها تمتمت بهدوء: سوف يذهبون اليوم بالثامنة مساءً.

وفي الثامنة وبعد خروجهم طرق نافذتها وفتحت هي له، قفز لأول مرة داخل حجرتها وعجب كثيرًا مما شاهده وتمتم: أنت مجنونة حقًا يا فتاة!

لقد كانت غرفتها كلها مغمورة بالرسومات حتى السقف، رسومات بالألوان الخشبية ولكنها رائعة ومتناسقة، حتى الدولاب والسرير غمرتهما بالرسومات، ظل مسحورًا بالغرفة قليلًا ومن ثم أفاق، يجب أن لا يضيع وقته.

أخرج القفل والمطرقة وأعطاها علبة بيتزا صغيرة: إنها ساخنة، هيا تناوليها بسرعة.

لم تتناولها لمى، كانت ترتعش وخائفة للغاية وتضع يدها خلف ظهرها، أخذ يطرق المسامير ويثبت القفل ومن ثم ذهب وأغلق الشباك، فزعت هي.

لمى: لمَ تغلق الشباك؟!

كريم بتعجب: ما بكِ يا لمى اليوم؟!

وانحنى وجلب قفلًا صغيرًا من الحقيبة خاصته وثبته على الشباك ثم التفت لها: لا تفتحي الشباك مطلقًا إلا إذا تأكدتِ أنه أنا، هل هذا واضح يا لمى؟

هزت رأسها موافقة وتساقطت دموعها رغمًا عنها، عجب لحالها كثيرًا اليوم، لمَ ترتعش؟ ولمَ يدها خلف ظهرها؟ ذهب نحوها بهدوء وأخرج يدها إلى الأمام وسمع صوت ارتطام بالأرض، وازداد بكاؤها بشكل هستيري، انحني وهو مصعوق وأمسك بالسكين الصغير المدبب الذي سقط منها، نظر لها وهو غير مصدق ثم ترك السكين على مكتبها وفتح الشباك وقفز.

وارتمت هي تبكي على الأرض بشدة، لقد خسرت الشخص الوحيد الذي اهتم بها في يوم من الأيام.

ظلت تبكي على الأرض إلى الحادية عشرة، كان سكان المنزل قد عادوا ولكن لا أحد يهتم لأمرها بالأساس.

سمعت صوته يهمس باسمها ولم تصدق، ظنت أنه محض خيال منها ولكن الصوت تكرر مرة أخرى، فتحت الشباك وصعقت حالما رأته، صعد على الحافة وبالكاد كان يرى كل منهما الآخر.

كريم: اللعنة هل ما زلت تبكين؟ وبالطبع لم تتناولي شيئًا.

لمى: سامحني أرجوك، لا تتركني يا كريم لا يوجد لي سواك، أرجوك يا كريم.

كانت تتوسل له بشدة وهي تبكي، ربت على وجنتها وأمسك بالحافة بيد واحدة.

كريم: اهدئي يا صغيرة، لن أتركك، آسف لأنني ارعبتك يا لمى ولكنني لم أصدق أن تشكي بي هكذا!

لمى: أنا آسفة للغاية، لن تتكرر هذه الحماقة أعدك.

أخرج من حقيبة ظهره علبة أخرى: إنها ساخنة بدلًا من تلك التي فسدت، تناوليها واخلدي للنوم.

هزت رأسها بفرح لأنه سامحها وأتى مرة أخرى: هل سامحتني يا كريم؟!

كريم: لا، ولن أسامحك إلا إذا أتيت بالدرجة الكاملة في الامتحان القادم هل هذا واضح يا لمى؟!

لمى بلهفة: أعدك بهذا، لن أحيد عنها يا كريم.

ابتسم لها: عمتِ مساءً وأحلام سعيدة.

ابتسمت هي الأخرى: ولك أيضًا.

وراقبته وهو يقفز من خلف السور الخاص بحديقتهم.

مر عام آخر وحان وقت دخول الجامعة، كانت خائفة للغاية ولكنه طمأنها، تقابلا في حديقة بعيدة وأخذها بمكان بعيد وسط الصخور، أخذ يتأملها وهو يداعب وجنتها وأخبرها بأن تحذر وأن لا تسمح لأحد من الشباب بالتعدي عليها وأن لا تصادق سوى الفتيات، ثم انحنى واعترف لها أخيرًا بعد الكذبة التي دامت بينهما لمدة عامين تقريبًا.

كريم: أنت لي يا لمى ولن أسمح لأحد بأخذك مني، هل هذا واضح؟!

احمرت وجنتها وحاولت إخفاء بسمتها، لقد كانت مرتعبة من أن يكون يراها كأخت فقط، لا يمكن، لا تتخيل حياتها بدونه في يوم من الأيام.

كريم: إنني في بحث مستمر عن عمل، وحالما أجمع المال اللازم سوف آتي لخطبتك، هل أنت موافقه يا لمى؟!

أخفت رأسها بصدره وقبل هو شعرها، ومنذ ذلك اليوم، منذ أن صرح كل منهما للآخر بمشاعره، انقلبت حياتهما إلى جنة، ولكن الفرح لا يدوم.

لم يسلم الأمر بالطبع في الجامعة للمى، واضطر كريم للكم وضرب خمسة شباب في أول شهرين من دخولها إلى الجامعة كي يتركها الشبان وشأنها، ولم يكن لها أي أصدقاء من الفتيات فهن يشعرن بالغيرة من جمالها أو يخشين على أحبائهن منها، وهي بالأساس كانت منطوية ولكن لم تكن تهتم لكل هذا، كل ما يهمها هو كريم.

نجح كريم في العثور على عمل أخيرًا ولكن المرتب كان بسيطًا، وفوجئ بعمه يطلب منه ترك المنزل والبدء بتسديد النقود التي صرفها عليه طيلة الستة سنوات المنصرمة، قابلها في الحديقة كعادتهما وبعد إلحاح أفضى لها بما في صدره.

ضحك بسخرية: تعلمين؟ لديه دفتر يسجل به كل شيء، انظري إلى هذا.

وأخرج لها الدفتر الصغير وفتحه، لقد كان عمه يسجل كل قرش يصرفه عليه لأنه عندما ذهب إلى السكن معه كانت الأموال التي تركها والد كريم قد أوشكت على النفاد، وعمه هو من تحمل نفقاته، وعندما نظرت إلى آخر صفحة حيث المجموع الكلي للمبلغ شهقت بشدة ونظرت لكريم برعب.

كريم: علي بالبحث عن وظيفة أخرى، تلك الوظيفة لا تكفي نقود المواصلات حتى، سوف أذهب للسكن مع صديق لي ولكن منزله بعيد للغاية.

دمعت عيناها بشدة: يمكنني العمل أنا الأخرى..

وقبل أن تكمل جملتها انكمشت على نفسها من نظراته الحارقة وصمتت تمامًا.

أسند ظهره إلى الخلف: ليس هذا ما يقلقني، لقد كنت متشوقًا كي أبدأ بجمع المال من أجل المجيء والتقدم لعملك.

لمى بتردد شديد: أعلم أنه ليس وقته مطلقًا ولكن هناك ما أود أن أخبرك به لأنك لو علمت بعد ذلك سوف تغضب مني، لقد.. لقد.. تقدم لطلب يدي أربعة شباب.

كريم بغضب: من هؤلاء؟!

لمى: انتظر رجاءً ليس الأمر كما تظن، لقد طلبني عمي من شهر ونصف، وسألني إذا كنت أعلم من يدعي بمصطفى هلال فأجبته بالنفي، قال لي إنه طلبني وهو رفضه، وإذا حاول هذا الشاب التحدث معي لا أرد عليه، وهكذا فعلها ثلاث مرات، أنا سعيدة للغاية بالطبع لرفضه ولكنني لم أفكر في الأمر سوى الآن، ماذا لو رفضك أنت الآخر؟

حك كريم رأسه لبرهة: لمى، اعذري تطفلي، هل لكِ أموال خاصة بك؟ هل ترك والدك شيئًا ما لك؟!

شهقت لمى بفرحة: لي، لي قطعة أرض ومنزل، وسمعت مرة أن تلك الأرض تبلغ ملايين الآن.

وأمسكت يده بلهفة وأردفت: سوف نتمكن من سداد دين عمك بكل سهولة، أنا واثقة من هذا.

ضحك كريم بشدة حتى انحنى ظهره إلى الوراء واستغربته لمى كثيرًا!

لمى: كريم! هل جننت؟!

كريم: أقسم أنني أعشق سذاجتك هذه، هل تظنين أن عمك سوف يعطيك قرشًا من حقك؟ الآن علمت لمَ يرفضهم.

لمى: اللعنة على حظي التعس!

كريم: لا تقلقي يا لمى.

ارتعشت لمى وبكت كثيرًا: لقد انتهيت، لن يوافق على زواجنا.

كريم: لا حبيبتي سوف يوافق وإن لم يفعل سوف نهرب.

لمى بسخط: كفاك سخفًا، كيف لك أن تمزح هكذا؟! ألا تشعر بي؟!

كريم: لدي نظرية أعيش بها منذ سبع سنوات إلى الآن وصدقًا إنها فعالة للغاية:

"لم تخلق مشكلة إلا وخلق معها الحل"..

وأنا متأكد من أننا سوف نجد الحل.

بعد عدة أشهر وجد كريم عملًا والمرتب كان رائعًا ولكنه كان بعيدًا للغاية، لن يراها سوى كل شهر، ألحت هي عليه بالذهاب لأن عليه سداد دين عمه وتلك فرصة رائعة، كان كل منهما يتعذب في ذلك البعد ولكنهما كانا يتعذبان من أجل أن ينالا الراحة في المستقبل، لم يعلم كل منهما أن العذاب لن ينتهي أبدًا.

مر الوقت وأنهت هي جامعتها، وحالما أنهتها طلبها عمها وأخبرها أن خطبتها على عمر، أي ابنه الوغد، سوف تتم الخميس القادم، أمسكت ببطنها لا إراديًا وتلاحقت أنفاسها ورفضت بشدة، ولكن عمها تمتم بكل برودة..

: أنا لا آخذ رأيك، أنا أعلمك فقط حتى تستعدي للحفل.

فهو الآن ينتقم، أجل ينتقم لنفسه، لكرامته التي ألقتها والدتها على الأرض منذ زمن حينما رفضته وتزوجت من أخيه بعدها بعدة أعوام.

هو يظن أنها تزوجته من أجل ماله ولكنه لا يعلم أنها رأته على حقيقته، وقد أورثت ابنتها تلك الهبة، رؤية الناس على حقيقتها، مجرد نظرة واحدة وتعلم ماهية هذا الشخص، والآن وبعد كل تلك السنين سوف ينتقم لنفسه من والدتها ومن أخيه، لن يجعل ابنه يتعذب مثله.

هرعت على غرفتها تحتمي بها، لقد سافر كريم منذ عدة أيام، أي إنه لن يأتي سوى بعد شهر من الآن، كيف تجده في تلك الصحراء التي سافر لها؟ كيف؟!

بعد بكائها لعدة ساعات اضطرت لقضاء حاجتها الطبيعية ففتحت القفل وهمت بالخروج للحمام، وفي منتصف الطريق ظهر لها عمر.

عمر: أهلًا أهلًا بالعروس المختبئة، بعد كل تلك المطاردات يا لمى وفي النهاية صرتِ لي، أخبرتك سابقًا أن لا تعاندي القدر ولكنك لم تنصتي.

كان يتكلم ببرودة مغيظة، وتلاحقت أنفاسها بشدة وتراجعت في رعب، وركضت نحو غرفتها وهو وخلفها، لم تفلح بغلق الباب وسقطت أرضًا ودخل هو وأخذ يضحك على منظرها هذا.

وقفت لمى وتكلمت برعب: أنت كريه ووغد وبلا كرامة، تعلم أنني أكرهك ومع ذلك مصر على الزواج بي.

عمر باستفزاز: سوف تعاقبين على وقاحتك هذه الآن.

وحالما ذهب نحوها هرعت إلى سريرها وجلبت من أسفل الوسادة سكينها الصغير، كانت يدها ترتعش بشدة وبدت خرقاء، وأخذ هو يضحك مقهقهًا، ثم بدأ بفتح أزرار قميصه ببرودة وتمتم باستفزاز: هيا اطعنيني بصدري إن استطعت.

التصقت بالحائط، كانت تعلم أنها لن تستطيع إيذاءه، فوجهت السكين نحو قلبها وتوتر هو، وحالما خطا خطوة أخرى نحوها رشقت السكين بصدرها.

سالت الدماء على قميصها الوردي وذعر هو ومن ثم رفعت ذراعها اليسرى وبدأت بجرحها هي الأخرى.

صرخ عمر: كفي عن هذا أيتها المجنونة الملعونة، كفي عن هذا حالًا!

لم تستجب فخرج من الغرفة وأغلقت هي الباب بسرعة وارتمت أرضًا تبكي بشدة، جلبت منديلًا ووضعته على صدرها كي تكتم الدماء وربطت يدها هي الأخرى، لم تغرز السكين عميقًا لقد تعمدت إرهابه فقط، سمعت صوت سيارته وخروجه من المنزل وبعدها فتحت النافذة ونظرت برعب إلى الأسفل ولكنها تشجعت وقفزت منها، جرحت ركبتها والتوى كاحلها ولكنها لم تهتم.

ركضت نحو منزل مصطفى، أجل فهو أوصاها قبل أن يسافر إذا احتاجت إلى أي شيء أن تذهب له، إنه صديقه بهذا الحي وهو يثق به.

وصلت منهارة مقطوعة الأنفاس، والتقطتها كريمة أخت مصطفى قبل أن تسقط أرضًا، وداوتها وضمدت جروحها، أثناء ما كانت تقص على مصطفى ما حدث معها وترجوه بأن يجد لها وسيلة لإخبار كريم وإحضاره في الحال، حزنا بشدة لأجلها وقررا مساعدتها.

كانت خجلة للغاية ولكنها لن تجازف بالخروج من غرفتها مرة أخرى، واستأذنت كريمة أخت مصطفى: هل يمكنني الدخول إلى الحمام؟

كريمة: أجل بالطبع.

أخذتها كريمة إلى الحمام وحالما دلفت هي بكت بحدة، إنها لا تفارق غرفتها من الرعب وأبسط حق من حقوقها وهو الدخول إلى الحمام مأخوذ منها.

وقبل أن يركب لها كريم هذا القفل على باب غرفتها كانت تمضي صيفها وعطلات ابن عمها الوغد نائمة على كرسي خلف الباب خوفًا منه.

إلى متى سوف تتحمل هذا الوضع الكريه المخيف؟ وتمنت من كل قلبها لو أن كريمًا يعود ويأخذها معه، لم تعد أعصابها تحتمل أيًا من هذا.

لم تعد تحتمل نظرات عمر التي تخترقها بسهام حارقة، ولم تعد تحتمل الكره والبغض في عيون زوجة عمها وابنتها، ولم تعد تحتمل نظرات اللامبالاة والإهمال في عيني عمها، حتى إنها في بعض من الأحيان تشعر به يتشفى منها ولكن لا تعلم لماذا؟ ما الخطأ الذي ارتكبته في حقه في يوم من الأيام؟!

غسلت وجهها جيدًا ومسحت رقبتها وإبطيها بالماء، لقد جعلها الرعب تتصبب عرقًا شديدًا، وحالما هدأت والتقطت أنفاسها من جديد خرجت لهم مرة أخرى.

مصطفى: لقد حاولت الاتصال به ولكنني لم أستطع الوصول له، سوف أسافر له الآن يا لمى، يمكنك البقاء هنا إذا أردت.

كريمة مرحبة: أجل هذا أفضل، عليك بالبقاء هنا.

لمى: لا أستطيع، علي بالعودة الآن، لا أحد يعلم بمغادرتي المنزل ولا أعلم كيف سوف أدلف إلى الداخل مرة أخرى.

مصطفى بتعجب: كيف أتيت؟!

عضت شفتيها من الخجل: قفزت من الشباك.

ذهب معها كل من كريمة ومصطفى ووقف بسيارته أمام باب منزلها، ولكن مصطفى كان مترددًا كثيرًا.

مصطفى: لا أظنها فكرة جيدة يا لمى، كيف ستتمكنين من تدبر أمورك بالداخل؟!

لمى: لا بأس لقد اعتدت على ذلك، لن أخرج من غرفتي البتة إلى أن تأتي بكريم.

كريمة: إذا احتجت شيئًا لا تتردي في القدوم لي، هل هذا واضح؟

شكرتها لمى ونزلت هي ومصطفى الذي ساعدها على التسلق والعودة إلى غرفتها مرة أخرى.

وحينما عاد إلى السيارة مرة أخرى تمتمت أخته بحزن: الآن فقط علمت سبب عبوس وحزن هذه الفتاة رائعة الجمال.

هز مصطفى رأسه موافقًا وحدث نفسه: وأنا الآخر عرفت الآن سبب ذهاب كريم لها دائمًا ومدها بالطعام، إنها مسجونة بداخل هذا المنزل.

أوصل أخته إلى المنزل وانطلق مباشرة بعدها إلى حيث موقع العمل الخاص بكريم بعد أن فقد الأمل بالوصول له عن طريق الهاتف.

وبعد يومين كان هناك من يقذف نافذة لمى بالحجارة.

لمى: كريم، لقد عدت!

تسلق وحدثها هامسًا وبسرعة: امضي واكتبي رقم بطاقتك هنا يا لمى.

شهقت لمى: عقد زواج عرفي!

كريم: لا حل آخر يا لمى، أسرعي رجاءً قبل أن يرانا أحد.

لمى: أرجوك يا كريم أنا لا أستحق هذا.

كريم بألم: أعلم يا عزيزتي أنت تستحقين الأفضل ولكن لا وقت لدينا، بعد الغد سوف تتم خطبتك ولا نعلم إذا كان سوف يعقد قرانك أم لا، لا يملك أي منا حلًا آخر.

أخذت تبكي بشدة ولوعة على حظها التعس وتوسل لها هو قائلًا: لمى أرجوك اهدئي لن يصيبك شيء، سوف آتى بالغد وما عليك سوى مجاراتي.. اتفقنا؟ والآن أمضي.

تخيلت مستقبلها مع هذا الوغد ابن عمها وأقرت بنفسها أنها تفضل الانتحار على الزواج منه، أمسكت القلم وبصعوبة بالغة خطت اسمها، وأكمل كريم البيانات وأخبرها بأن تغلق الشباك جيدًا وأن لا تفتحه مطلقًا، وبالغد عليها بالخروج عند قدومه.

ظلت تبكي طوال الليل، وعندما خرجت عليها الشمس بدلت ملابسها وانتظرت حلول الكارثة بفارغ الصبر، وعندما أرسل لها رسالة خرجت من غرفتها، طلب مقابلة عمها ودلف إلى مكتبه وتقدم لطلبها، ورفضه عمها بكبر وأخبره متفاخرًا أن خطبتها وعقد قرانها بالغد على ابنه.

كريم بابتسامة صفراء: لا أعتقد أن تلك الخطبة سوف تتم.

خالد عم لمى باستنكار: معذرةً!

كريم: أحم، حسنًا يمكنك القول بأن هذا مستحيل أيضًا؛ فأنا ولمى متزوجان منذ عام.

خالد صارخًا: ما الذي تقوله أيها الوغد؟!

وأخذ يصرخ باسم لمى وحضرت هي وكل ذرة بجسدها ترتعش من الرعب.

عمها صارخًا: أصحيح ما يقوله هذا الوغد؟

انحشر الكلام بحلقها ونظرت مستفهمة من كريم، حملق لها ثم قال.

: يقصد يا حبيبتي بأننا متزوجان منذ عام.

جحظت عيناها وارتعش كل جسدها وأحس كريم أنها سوف تعترف الآن بكل شيء فذهب نحوها وضمها أسفل ذراعه: لا تخشي شيئًا يا عزيزتي، سوف يبارك عمك هذا الزواج، لا تقلقي البتة.

وابتسم ابتسامة باردة لعمها الذي كان مصعوقًا تمامًا! وبعد أن استوعب ما قاله كريم تلاحقت أنفاسه وذهب نحوها وجرها من شعرها وسأل من بين أسنانه: ما الذي يقوله هذا الحيوان؟!

خلص كريم شعرها بأعجوبة من عمها وأرجعها خلف ظهره وأخذ يقاوم عمها الذي أخذ يصرخ وينعتها بأسوأ الصفات، ولم يسلم كريم من السباب هو الآخر، وبعد مدة سمع صوت صراخ لمى من خلفه، لقد دخل عمر وحالما علم بما حدث جذبها من شعرها وأخذ يصرخ: أيتها الملعونة، تدعين العفة وأنت عاهرة! سوف أقتلك بيدي.

وأخذ يعصر رقبتها بيده ولكن كريم لكمه بقوة وجذب لمى خلف ظهره مرة أخرى في زاوية المكتب.

احتدم الموقف وطلب خالد عم لمى عم كريم كي ينتهي من تلك الفضيحة، وحالما دلف المكتب وقص عليه خالد ما حدث صرخ بوجه كريم وذهب وصفعه عدة صفعات مدوية، وتمزق قلب لمى عليه وصرخت بعمه.

لمى: اتركه رجاءً اتركه، يا كريم أخبرهم الحقيقة.

كانت متمسكة به من الخلف وهو يحاول حمايتها قدر ما استطاع وتحدث كل من العمين بعضهما مع بعض قليلًا ثم وجه عم لمى الحديث إلى كريم.

: أين عقود الزواج خاصتكما؟!

كريم بجمود بعد أن تشوه وجهه من صفعات عمه: ليست معنا.

صرخ العمان: ماذا؟!

كريم: هذه صور العقود، أما الأصلية فهي مع صديق.

تكلم خالد بنفاد صبر: سوف تمزق تلك العقود وكأن شيئًا لم يكن.

زمجر عمر: لم أعد أريد تلك العاهرة.

خالد: الخطبة بالغد، لن نفضح أمام الناس.

وزمجر مرة أخرى بكريم: أين هي العقود أيها الوغد؟

كريم ببرودة شديدة: لا نستطيع فسخ عقد الزواج، لمى حامل.

كاد أن يغشى عليها من برودة كريم وما يفعله ثم جذبها أمامه وضمها وربت على بطنها أمامهم: إنها بالشهر الثالث، أليس كذلك يا عزيزتي؟ أعتقد أننا لم نأخذ حذرنا جيدًا بالفترة الماضية!

انهار الثلاثة من الغضب وهجموا على الاثنين، وكالعادة جذب عم لمى إياها من شعرها وانهال عليها بالصفعات إلى أن سقطت أرضًا، وانهال عم كريم عليه بالصفعات هو الآخر وكذلك عمر الذي حالما سقطت أرضًا أخذ يركل بطنها بعنف، أزاح كريم عمه ولقن عمر درسًا قاسيًا ثم أوقف لمى وأجلسها على الأريكة وتكلم، وبأنفاس متلاحقة وهو ينظر إلى ساعته: أمامكم ساعتان و.. عشر دقائق.

وعندما سألوا مستفهمين رد ببرودة شديدة: لقد أعطيت العقود إلى ثلاثة أصدقاء وإذا لم أعد لهم في الوقت المحدد سوف يقومون بنشرها على الإنترنت، وابتسم ابتسامة صفراء وأردف غامزًا لعم لمى: مع بعض الصور أيضًا.

عم لمى: اللعنة عليك أيها الوغد الوقح.

وعم كريم: بدلًا من التسكع والفساد كان عليك بالعمل لسداد دينك أيها الجاحد ناكر الجميل.

كريم بهدوء مستفز: لدي موعد بالثامنة علي اللحاق به، وإن لم أعقد عليها رسميًا الآن سوف أعود إلى عملي ولكنني لن أعود سوى بعد ثلاثة أو أربعة أشهر، وأعتقد أن انتفاخ بطنها سوف يصبح مشكلتك أنت.

وعدل ملابسه وشعره ونظر إلى لمى..

: حسنًا يا عزيزتي لقد فعلت ما بوسعي، قبلي الطفل من أجلي.

وهم بالذهاب ولكن عم لمى صاح به بغيظ شديد فأحست لمى أن عروقه على وشك الانفجار.

بعد أن أخذ يفكر لبرهة تكلم عم لمى: أن تنازلتِ عن ورثك كله أتركك لهذا الوغد، وإن لم تفعلي سوف أقتلك بيدي كي لا أفضح بعارك أيتها الملعونة، القرار لك.

نظرت لكريم برعب، لطالما حلمت بأخذ حقها ولكنها فضلت كريم، فهزت رأسها موافقة.

تمتم عمها باشمئزاز: ملعونة!

أتى بكل من المحامي والمأذون لعقد القران تحت تهديد واستفزاز كريم ونظره في الساعة وتذكيرهم بمرور الوقت قبل نشر الفضيحة على الإنترنت، ومضت هي وتنازلت عن حقها بيد مرتعشة ومن ثم تم عقد القران وسط نظرات المأذون المستنكرة، لمَ العروس والعريس مشوهيْن هكذا؟!

وقف أمام غرفتها بينما كانت تعد حقيبتها عاقدًا ذراعيه والمنزل كله ينظر له شزرًا، عمر ووالده بحقد، أما زوجة عمها وابنتها كانا ينظران نحوهما بتشفي، فجميلة الجميلات لا عرس ولا زفاف لها وتم طردها من المنزل.

ذهبا لمنزل مصطفى وكالعادة ضمدت أخته كريمة جروحهما وتنحنح مصطفى كي تتركهما كريمة وحدهما قليلًا.

كانت لمى لا تزال تبكي ومنهارة مما حدث ومن ضياع حقها، ضمها كريم له وأخذ يربت عليها كي تهدأ وتكف عن البكاء.

كريم: أنا آسف، أنا حقًا آسف يا لمى، لم يكن لدي حل آخر ولم يكن لدينا أي وقت.

لمى: لقد فُضحت يا كريم، لقد انتهيت وضاع حقي للأبد.

كريم: لم أستطع مساومته، لم يكن ليهتم بأمر الفضيحة وكانت فرصتنا هذه هي الأخرى ضاعت، سامحيني أرجوك، أقسم على أن لا أجعل شيئًا ينقصك البتة، هذا وعد يا لمى.

لمى هدأت قليلًا ورفعت رأسها له وتمتمت: لا يهم، لا أريد سواك يا كريم.

ضمها كريم له إلى أن هدأت تمامًا ومن ثم رفع رأسها برقة وقبل جبينها وابتسم لها.

كريم: لننظر إلى الجانب المشرق في هذا الأمر، سوف أستيقظ غدًا وهذا الوجه رائع الجمال في مقابلتي، يا لي من رجل محظوظ!

ابتسمت لمى بتعب وخفضت نظرها خجلًا منه، ولكنه وضع إصبعه أسفل ذقنها وجعلها تنظر له مرة أخرى.

كريم برقة: لا تخشي شيئًا يا لمى لن أتركك أبدًا، لن يفرق بيننا شيء بعد اليوم.

حالما هدأت أعصابها استأذن كل منهما وشكر كريم مصطفى كثيرًا لإعطائه السيارة له وانطلق بها حيث موقع عمله بالصحراء، كانت هدأت كثيرًا فحدثها بابتسامة ماكرة.

كريم: لمى، هناك ورقه بصندوق السيارة، اقرئيها لي من فضلك.

نظرت له ولبسمته الغريبة هذه وأخرجت الورقة وشهقت حالما قرأتها وكان بها الآتي:

إلى القساة متحجري القلوب البلهاء، أتمنى لكم التعاسة الأبدية وبعد،

لم ألمس لمى بأي سوء وهي أشرف فتاة على وجه الأرض، ولكننا اضطررنا إلى تلك الحيلة كي نتمكن من الزواج لأن عمها السارق طامع بحقها ويريد تزويجها بالقوة لابنه المتحرش المعتوه عمر.

ولأن عمي الرائع لن يساعدني للزواج من الفتاة التي أحب، حسنًا لقد تركنا كل شيء لكم وتركنا المدينة بأكملها لكم، وأقسم إن مس أحد سمعة زوجتي بسوء، والكلام لك يا أيها المتحرش البغيض، سوف تكون تلك نهايته الحتمية، لعنة الله عليكم، لن نسامحكم ما حيينا.

فلتتعفنوا بالجحيم.

كريم زوج لمى.

نظرت له مستفهمة فضحك هو: تلك هي النسخة الثالثة للرسالة والأولى لعمك والثانية لعمي.

لمى: !

***

## (5)

منى كانت تنظر بحقد وشرر للمى أثناء صعودها البرج بينما لمى كانت مخفضة رأسها وتتمتم بكلمات غير مفهومة وتسير بسرعة متجنبة النظر لأي كان.

منى بحقد: تلك الفتاة معتوهة تمامًا لا أعلم من أين لها بزوج مثل كريم؟!

عفاف: يجب أن ترحل عن هذا البرج، لقد انقلب حاله منذ أن قدمت هي.

كانت منى تراقب طفلتها التي تلهو وتلعب أمامها مع كل من لبنى وهند ابنتي عفاف، ولكن رحيل لمى يعني رحيل كريم؛ فصمتت عن الكلام ثم أردفت بعد برهة من التفكير: لا داعي لرحيلها يكفي تلقينها درسًا ما.

وصلهما صوت الهسهسة من خلفهما: بالفعل ينبغي تلقينها درسًا ما.

شهقت كل منهما: سيد رائد!

رائد بمكر: آسف لتطفلي ولكنني سمعت حديثكما صدفة.

والتف وذهب للجلوس بجوارهما وأخذ يراقب الفتيات الصغيرات مثلهما وهن يلعبن بالحديقة.

رائد: لقد لاحظت أنها لا تتمتم بتلك التعاويذ إلا عند رؤيتكن أو رؤية أطفالكن.

في تلك اللحظة دلفت رجاء وهي تحمل أغراض البقالة وسمعتهم، وعندما سمعت اسم لمى زمجرت بهم: اللعنة ألا يوجد سوى تلك الفتاة للحديث عنها؟ لمَ لا نفضحها يا سيد رائد ونجعلها تذهب من هنا؟

رائد مدعي قله الحيلة: لقد اشترى السيد كريم الشقة ولا يحق لي طرده منها ولكن هناك حل آخر، أستطيع أن أطرد ذلك الشيطان بداخلها، أستطيع طرده إلى الأبد، هل أنتن موافقات على ذلك؟!

منى بحقد: أراهن أنها ساحرة وتمارس سحرها هذا على زوجها المسكين، إذا ما طردت تلك الشياطين منها سوف يتركها.

رائد: المهم هو راحتكن وراحة أطفالكن فقط، خذن القرار ودعن الأمر لي.

وقفت كل منهن تقلب الأمر على حسب هواها ورحل هو وابتسامة خبيثة على وجهه.

***

الألم والطنين والصراخ لا ينتهي برأسه أبدًا، حتى وإن فقد الوعي فهو يشعر بالألم في تلك الأثناء، أفاق من الإغماء وتحسس الجرح الحارق وبكى بحدة، لقد انشق الجرح وأصبح يصل إلى أسفل رقبته الآن.

كانت الأنوار كلها مغلقة حتى يستطيع فتح عينيه فالأنوار تؤذيهم بشدة، وفجأة دارت الأنوار وانطفأت مرتين، ومن ثم دارت الأنوار في الشقة كلها، أخذ يتأوه من الألم الذي أصابه في عينه ومن ثم انتبه إلى أن لا أحد معه بالشقة، من عساه يفتح الأنوار؟!

وقف وحاول فتح عينه، وحالما فتحها أصاب الرعب كل ذرة بجسده، لقد كانت الجدران كلها مملوءة بالرسومات، رسومات صغيرة على هيئة مربعات في حجم كتاب كبير، تلك الرسومات تجسد كل ما حدث يوم الحادث الملعون، تصوره بالتفصيل، كما أنها مرسومة بلون واحد فقط:

لون أحمر.

لون الدم.

مرسومه بدمه هو..

أخذ يصرخ بشدة لهول ما رآه طالبًا الرحمة راجيًا متوسلًا: الرحمة، الرحمة، الرحمة، ارحميني..

ليشعر بعدها بألم صارخ ينحر برأسه، ومن ثم كتب على الجدار أمامه بخط عريض:

"لا مكان للرحمة اليوم يا عزيزي"..

ليصرخ بعدها صرخة حادة مدوية.

***

تجاهل طرقات الباب مرة واثنين وثلاث، ولكن يبدو أن الشخص الذي يقف على الباب لزج ولن يذهب إلا إذا زمجر به، هب من مكانه وفتح الباب متأهبًا للصراخ ولكنه وجد فتاة تحمل له جريدة ومظروفًا ما، أخذهما وهم بغلق الباب ولكنها تكلمت بسرعة: لم آتِ من أجل هذا.

وأشارت إلى المظروف والجريدة وتمتمت له: لقد وجدتهما أمام الباب.

ظلت نظرته جامدة نحوها ولم يسألها عن ما تريده حتى، فازدردت لعابها بصعوبة شديدة وتمتمت برعب: لقد أتيت.. لقد أتيت من أجل.. لمى.

ازدادت نظراته حدة وشراسة حالما ذكرت اسمها، أشار لها بالدخول بنفاد صبر، ظل واقفًا لمدة من الزمن مديرًا ظهره لها حتى ظنت أنه نسي وجودها، ثم فجأة زمجر بها: من أنت؟!

تكلمت بصعوبة شديدة: أنا ريم جارتك.

التمع الشر بعينيه حالما أخبرته بذلك وهجم عليها لاصقًا إياها بالحائط وزمجر بها. كريم: اللعنة عليك وعلي ملاعين ذلك البرج التعس.

هزت رأسها رافضة بسرعة وهي ترتعش بشدة، كان منظره مرعبًا وعيناه محمرتان بشكل غير طبيعي وذقنه غير حليقة، بدا كأحد المجانين أو المشردين الموجودين بالشارع: لست من البرج، لست من البرج، أنا من البرج المقابل لك.

زمجر أكثر: ما الذي تريدينه مني؟!

ريم: معي.. دليل براءة لمى.

رجع إلى الخلف وأخذ يضحك بتعب: اذهبي من هنا، اغربي عن وجهي ولا تعودي أبدًا إلى هنا مرة أخرى، هل هذا واضح؟ وإياكِ باختبار صبري فقد نفد تمامًا.

بكت ريم بحدة: إنها بريئة أقسم على ذلك، لا يمكن أن تكون.. لا يمكن أن تكون أي شيء مما قيل عنها.

زمجر بها: أيتها البلهاء اذهبي من هنا، هل تظنين أنني أشك بها؟ لم أفعل، لم أشك بها ولو لثانية واحدة، اغربي عن وجهي، كل ما أريده هو أن أعصر حياة تعساء ذلك البرج التعس بيدي.

رغم اعتراضه الشديد أخرجت الكاميرا خاصتها بيد مرتعشة من الحقيبة وتكلمت برعب: لقد.. لقد صورت الحادثة، لم تلقِ لمى نفسها بإرادتها.

صعق كريم وجحظت عيناه، وسالت دموعه بسرعة على وجنتيه كالبحر، وتلعثم قائلًا: لم.. لم تفعلها بإرادتها أليس كذلك؟ ليس.. ليس بعد أن تحقق حلمنا أخيرًا، لا يمكن.

وذهب كالطفل المنوم نحوها وأشار بيد مرتعشة إلى الكاميرا خاصتها.

كانت مرتعبة ويدها ترتعش أثناء فتح الكاميرا بينما وقف هو كطفل صغير مصدوم يراقبها إلى أن شغلت الفيديو.

كانت تجول بالكاميرا على البرج تصور اللوحات الجديدة التي علقتها لمى بالبلكون الخاص بها والزهور التي أضافتها إلى حديقتها الصغيرة، وبينما كانت تستعد كي تلتقط صورًا مقربة للوحات الجديدة فتح البلكون مرة واحدة وظهرت لمى والذعر الشديد ظاهر عليها، وأنفاسها متلاحقة للغاية وشعرها أشعث، لم تعرف ريم ما بها، فأشعلت خاصية تقريب الصورة وظهرت ملامح لمى وهي مذعورة بشدة، ثم بدأت تصرخ طالبة للنجدة أثناء محاولاتها لغلق باب البلكون، الذي كان ينغلق وينفتح وهي تسده بظهرها وتصرخ بأعلى صوت لها طالبة للنجدة، ثم تحدثت وهي تنظر لبطنها بأسى شديد وهي تبكي بشدة.

بدأت مقاومتها تخور والباب الذي تسده بظهرها بدأت الفتحة تزداد منه، وبدأت ريم أخيرًا هي الأخرى تعي ما يحدث فارتعشت يدها واهتزت الصورة، وأخذت تطلب النجدة صارخة بأعلى ما لديها.

"الفتاة بالبرج رقم أربعة، النجدة فليساعدها أحدكم، النجدة!"

أخذت تصرخ وهي تتابع لمى بعدستها كي ترى ما يحدث معها تمامًا.

أحكمت لمى ذراعيها على بطنها وأخذت تبكي بشدة وتتأسف وفجأة ألقت بنفسها من البلكون.

سقطت العدسة من يد ريم ووقفت على السور وأخذت تصرخ بأعلى صوت لديها ولكنها لم تر شيئًا، لم تر ما الذي حدث للمى، فعندما وقفت على السور لم تر في مجال الرؤية سوى الطابق الثاني، ولم تستطع رؤية ما حدث للمى، وعندما نزلت عن السور وهي مرعوبة كانت الكاميرا ما زالت معلقة برقبتها تصور الأحداث دون وعي من ريم.

جرت ريم وأسرعت على البرج رقم أربعة ودلفت إلى الحديقة وهي مرتعشة وتبكي بكاءً هستيريًا، وعندما وصلت رأت لمى بحوض السباحة، ذراعاها ممددان ورجلاها، ورأسها مدفون في المياه.

أخذت تصرخ بشدة وسقطت أرضًا من هول الصدمة، وجاءت والدتها وبعض السكان بعد ذلك، وتم إبلاغ الشرطة عن حادث انتحار..

غطى كريم وجهه وبكى بشدة وبحرقة شديدة وأخذ يتمتم: آسف يا حبيبتي، آسف يا لمى، سامحيني، رجاءً اغفري لي يا حبيبتي.

ورفع رأسه لريم: لقد شككت بها.. لقد.. لقد ظننت أنها هي من أقدمت على الانتحار من؟! من كان خلف الباب ولمَ فعل هذا؟! إنها لم تؤذِ أحدًا أبدًا في يوم من الأيام!

بحثت ريم في الكاميرا وقامت بعرض صورة عليه كانت قد قامت بقصها من الفيديو عندما وقفت ريم على السور، كانت الكاميرا لا تزال تصور وهي معلقه برقبتها بعد أن ألقت لمى بنفسها، انفتح باب البلكون وظهر شبح لشخص ما ولكن كلما حاولت ريم تكبير الصورة لتبين من فعل هذا لم تفلح أبدًا، لم يظهر سوى شبح له وظل خفيف، ولم تستطع تبين أي شيء آخر.

كريم بعد أن أفاق أخيرًا: علي بمعرفة ما حدث، علي بفهم كل شيء اليوم وإذا اقتضى الأمر بذبح كل من في البرج لن أتردد حتى أعرف الحقيقة.

نظرت ريم للأرض وبتردد شديد: إنهم يدفعون ثمن أفعالهم بالفعل.

صرخ كريم: لا يكفي، لا يكفيني فيهم أبدًا أي شيء، لقد أخذوا كل شيء مني، أخذوا العائلة الوحيدة التي كانت لي في يوم من الأيام.

ريم بأسى: لقد توفي ثمانية أطفال من أبنائهم كلهم يموتون غرقى، حتى وإن ماتوا في أسرتهم فالسبب هو الغرق، وحاولت ثلاثة أسر السفر وترك البرج ولقوا مصرعهم في خلال يومين فقط وتوفوا جميعًا، أما عن باقي أفراده فهم منهارون تمامًا، هناك شيء ما يحدث لهم، لقد أصبح الشارع كله يخشاهم ويتحاشاهم وأسوأهم على الإطلاق هو السيد رائد.

كريم: لا يمكن هذا، ما هذا الهراء الذي تقولينه؟!

أمسكت بالجريدة وأعطته إياها، كتب بالخط العريض:

"حادثة انتحار تبدأ ببرج وتنتهي بسلسلة من الوفيات، حيث بلغ عدد وفيات هذا البرج في ثلاثة أشهر فقط أكثر من عشرين شخصًا" التفاصيل ص21

ولمح كريم عنوانًا آخر لفت انتباهه:

"العثور على ابن رجل الأعمال خالد المغازي مشنوقًا بسيارته بعد محاولته الاعتداء على فتاة، وقد تم ضبط جثته..

شهق كريم: اللعنة، هذا هو ابن عم لمى!

نظر الاثنان لا إراديًا نحو المظروف، وفتحه كريم بيد مرتعشة ليجد به إخطارًا من المحامي بضرورة حضوره في أقرب وقت لاستلام أملاك لمى من عمها باعتباره الوريث الوحيد لها.

هوى كريم في كرسيه من هول الصدمة، إن ما تقوله ريم صحيح، من عساه يفعل ذلك؟ أهي..

لا لا لا هذا الكلام لا يصدقه عقل، حاول أن ينفي بشدة ما يحدث، وفي تلك الأثناء تقدمت ريم بالكاميرا كي تريه ذلك الشبح علّه يعلم من الجاني..

***

## (6)

منى بدلال: كريم.

التفت خلفه وترك باب المصعد، وقبل أن يفتح فمه افتعلت الخجل: أتمنى ألا تتضايق لرفع الألقاب، نحن في نفس السن تقريبًا.

كريم بتهذيب: لا أبدًا، هل من خدمة أستطيع أن أقدمها لك؟

افتعلت الحيرة: أنا فقط أود السؤال على حال لمى فهي منطوية للغاية ولا أعلم لماذا، فكما ترى كلنا هنا أخوة، إذا كان هناك أي شيء أستطيع فعله من أجلها أرجوك لا تتردد فهي تبدو شاحبة وتعبة للغاية في الآونة الأخيرة.

حك كريم ذقنه: رجاءً اعذريها هي فقط لم تعتد التجمع مع الناس وتحب الوحدة كثيرًا.

ادّعت الرأفة: مسكينة، أتمنى أن تصبح بخير، لا بد أنها عانت من قبل وهذا ما جعلها تخشى الناس الآن.

كريم بقلق: لا أخفي عليك، لقد عانت كثيرًا.

منى: على أي حال الغد هو الجمعة ونتمنى لو تقضيه معنا أنت ولمى بالطبع.

حياها بتهذيب وصعد: شكرًا لك يا سيدة منى، سوف نحاول الحضور.

وركب المصعد بينما هي زفرت الهواء بغل: سيدة منى! ونظرت إلى جسدها وتمتمت: اللعنة على الولادة والرضاعة.

ثم دخلت شقتها وأغلقت الباب بعنف.

صعد كريم سريعًا وكالعادة وجد لمى خلف الباب تسأل من الطارق: إنه أنا يا حبيبتي.

دلف وقابلته بابتسامتها الرائعة، قبل رأسها ثم فمها ثم انحنى وقبل بطنها قبلة سريعة، ودلف وخلع حذاءه وجلس بتعب على الأريكة، بينما هي قامت بغلق أقفال الباب كلها ثم ذهبت وقبلت رأسه: كيف كان يومك يا حبيبي؟

والتفتت من خلف الأريكة لتجلس إلى جواره.

كريم: أوشكنا على الانتهاء من هذا المشروع، أنا جائع، هل الطعام جاهز؟!

لمى: أجل.

احتضنت ذراعه وأخذ يعبث هو بشعرها وتمتمت بهدوء: لقد تأخرت عشر دقائق.

قبل رأسها: لقد قابلت السيدة منى على السلم، كانت تخبرنا بعزومة الغد، عليك بتحضير طعام لأخذه للشواء.

ابتعدت عنه وغضبت، وزفر هو الهواء بعنف.

كريم: ألم نتفق يا لمى، ألم نتفق أن تدعي كل شيء وراءك وأن نحاول الاندماج، ألم يحدث هذا يا لمى؟!

لمى بأسى: إنهم سيئون يا كريم، لا أشعر بالراحة معهم أبدًا، أرى.. أرى تلك الأشياء على وجوههم يا كريم.

نهض كريم وأخذ يخلع ثيابه بغضب: ألم تخبرك الطبيبة بأن تلك خيالات وعليكِ بالكف عن رؤية تلك الأشياء يا لمى؟

وقفت هي الأخرى وتوسلت له بعينها الدامعة: عليك بتصديقي يا كريم، الأمر ليس خيالات، إنه لا يذهب حالما أراهم، أظل أتمتم لنفسي أنهم أناس جيدون ولكن تلك الأشياء لا تمحى من على وجوههم، أقسم أنني أفعلها وأحاول كل مرة ولكن تلك الأشياء لا تمحى من على وجوههم، إنها حقيقية وليست خيالات، أنت تعلم أنني لا أكذب يا كريم وتعلم أن تلك الهبة لدي ولقد اختبرتني سابقًا..

قاطعها: تلك كانت محض صدفة يا لمى، رجاءً أفيقي، ارجعي إلى لمى التي عرفتها، تلك الفتاة الجميلة التي حالما تراني تضحك وتنسى كل شيء، لم تكوني هكذا أول زواجنا يا لمى مع كل الضغوط التي واجهتنا، والدين والشقة الصغيرة التي كنا بها، وكل الصعاب التي مررنا بها معًا، كان أقصى شيء يصيبك هو رؤية كابوس مزعج كل عدة أسابيع، أما الآن أمورنا بخير وأصبح لدينا منزل وأنتِ وضعت عليه لمساتك السحرية وأصبح أروع منزل، لمَ الآن يا لمى؟ لمَ الخوف؟!

بكت بشدة: الأمور أسوء يا كريم صدقني، بالماضي كنت أرى تلك الأشياء على فرد أو اثنين، أما الآن أراها بكثرة وأراها بكل مكان، إنها بكل مكان صدقني يا كريم أنا لا أكذب.

تركها وبدل ثيابه وذهب لطاولة الطعام وهو غاضب، ولم تفلح الورود والطريقة الرائعة التي حضرت بها الطاولة في إزالة الغضب منه، وتناول كل منهما الطعام بالكاد، هو بغضب وهي بحزن لأنه غاضب منها..

مر الوقت وظل كريم على حاله ولكنها قررت أن تصالحه، وبعد ثلاث ساعات خرجت من غرفتها وهي ترتدي فستانًا طفوليًا قصيرًا، وحذاءً منزليًا ضخمًا من الفرو، ورفعت شعرها إلى الأعلى في قسمين، وبدا شكلها طفوليًا ورائعًا للغاية، لم يزح عينه عن التلفاز وخشيت هي أن تفشل محاولاتها،

فذهبت وجلست إلى جواره ولكنه لم يزح عينه أيضًا، عضت شفتيها ومن ثم جلست ومددت قدميها أمامها واضعة إياهما على حجره، فنظر لها شزرًا.

لمى مدعية البراءة: علي بفرد قدمي وأنت تعلم هذا، أين يتوجب علي وضعهما؟!

نظر إلى الأرنب الفرو العملاق التي ترتديه بقدمها وإلى تسريحة شعرها الطفولية وتمتم مدعيًا اللامبالاة: تزوجت طفلة بالروضة.

حملت سيزر وأخدت تداعبه بدلال وهي تعلم كم يغيظه هذا.

لمى وهي تفرك جسد القط: أه سيزر أنت رائع، أحبك سيزر، أحبك بجنون، أنت أروع شيء لدي في الوجود.

لم يعد يتمالك نفسه فجذب القط من حجرها واضعًا إياه على الأرض وزمجر بها..

كريم: إياك وحمله مرة أخرى.

اقتربت منه للغاية: لمَ أنت عصبي هكذا؟

أشاح بوجهه بعيدًا عنها، لن يسمح لها بالعبث به.

لمى بتوسل: كريم، رجاءً كف عن هذا، غدًا عطلتنا، علينا بتمضية الوقت معًا.

كريم: أنا طوال الوقت معك يا لمى وما الجديد إذًا؟ إنهم لطفاء للغاية، يمكن أن يكونوا عائلتنا يا لمى.

لمى بأسى: ليسوا كذلك صدقني، إنهم سيئون.

زفر الهواء بحنق وجلب علبة سجائره وأشعل واحدة، وحالما أنزل يده من فمه بعد أول نفس، خطفت لمى السيجارة من يده وأخذت نفسًا منها، انتفض من جلسته وصاح بها: هل جننتِ يا لمى؟!

سعلت وأعطته إياها: اشتهيتها!

أطفأ السيجارة سريعًا وأخذ يلوح في الهواء بيده، لقد نسي وشرب أمامها من فرط عصبيته.

كريم: لمى أنت فاسدة.

اقتربت منه وقالت بدلال: أنت من دللني إلى حد الفساد.

هز رأسه غير مصدق ثم ابتسم وفرحت هي كثيرًا لأنه ضحك لها، قبلت وجنته ثم قالت: ما رأيك بأخذي للملاهي بالغد؟ لقد اشتقت لها كثيرًا.

ضيق حاجبيه: لمَ الملاهي المكان الوحيد الذي تطلبين الذهاب له؟!

أخذت تفكر قليلًا ثم قالت: لأنني ألتهي بالحلوى والألعاب ولا أبالي للناس.

كريم: حسنًا يا لمى لك ما أردت، العطلة القادمة سوف آخذك للملاهي، أما الغد فسوف نذهب للعزومة.

لمى ببأس: كريـم أرجوك..

قاطعها: لا أريد كلامًا في هذا الموضوع مرة أخرى يا لمى.

وقفت غاضبة وأخذت تفرك في الشقة قليلًا ثم حملت سيزر وذهبت أمامه وأخذت تقبل سيزر وتضمه بحنان.

كريم: لقد حذرتك يا لمى!

لمى بتحدي: ما الذي سوف تفعله؟!

ضحك كريم بمكر: سوف أعاقبك أشد العقاب الآن يا فتاة.

لمى بمكر هي الأخرى: إن استطعت الإمساك بي أولًا..

***

"لا مكان للرحمة اليوم يا عزيزي"

صرخ صرخة مدوية حادة بعد أن رأى تلك الكلمات، إنها لن تتركه وشأنه أبدًا، أخذ يصرخ لها قائلًا: اقتليني الآن رجاءً، ارحميني، الموت أهون لي، الموت أهون لي.

كان يبكي بشدة ويتوسل، ركع على قدميه وضم كفيه متوسلًا لها ولكنها لن ترحمه وهو يعلم بذلك..

صار الألم فوق كل احتمال، ثلاثة أشهر لم يعرف للنوم طعمًا، سوى إصابته بالإغماء واستيقاظه على ألم صارخ برأسه وانشقاق الجرح ونزيف جديد، وقف وهو يصرخ ومن ثم توجه بخطى مترنحة نحو باب الشقة، وما إن فتحه حتى سقط، ولكنه أكمل زاحفًا على ركبتيه، وظل هكذا يزحف ويتعثر ويسقط على السلم وينزل خطوتين ويسقط عشر، لم يكن عليه سوى النزول إلى طابق واحد فقط، فتحت منى الشقة قبالته وأخذت تلعنه.

منى بصوت صارخ: اللعنة عليك، أنت السبب بكل هذا، لقد انتهينا بسببك أنت.

سمع رشاد صوت صراخ منى ونزل إلى الأسفل كي يرى ما يحدث، وحالما رأى رائدًا جذبه من مقدمة ملابسه وزمجر به: إلى أين تظن نفسك ذاهبًا؟

كان رائد يلهث بطريقة غير عادية: إلى.. إلى النيابة.. سوف أخبرهم بكل الحقيقة.

صرخ رشاد به: هل جننت؟!

صرخ رائد متأوهًا من الألم وسقط أرضًا وأمسك برأسه، وتركه رشاد وهو متقزز للغاية فالمنظر مقزز والرائحة المنبعثة منه قذرة أصابته بالإعياء.

نزل أشرف وعفاف وبعض السكان على صوت الصياح وتقززوا كثيرًا لدى رؤية رائد، ليس لأن الدم والرائحة المقززة تنبعث منه فقط، لا بل من أجل أنه السبب في كل ما يحدث معهم الآن، الجميع يلقي باللوم عليه.

رغم أنهم هم من سمحوا له بفعل هذه الفعلة الشنعاء، كاد أن يهجم عليه أشرف كي يعيده إلى شقته ولكن كلًا من رجاء وعفاف زمجرا: اتركه يذهب لعل هذا هو الحل، لعله لو اعترف بجرمه تركتنا وشأننا، يكفينا ما حدث إلى الآن.

صاح أشرف: اخرسي يا امرأة!

عفاف صارخة: أخبرتك سابقًا بأني لن أصمت ولن أتوانى عن فعل أي شيء يمكنه أن ينقذ فتاتيّ، هل هذا واضح؟!

كان رأي النساء كلهن بأن يتركوه ولكن رائدًا كان قد فر بالفعل إلى سيارته، كان يتجنب الصدام بمعجزة، ووصل إلى مقر النيابة بأعجوبة، حاول الدخول ولكن العسكري منعه؛ فبالإضافة إلى الرائحة والمنظر المقزز كان يتصرف مثل متشرد أو مدمن!

ولكن صاح وكيل النيابة وسأل عن أسباب الجلبة التي تحدث خارجًا وانتهز رائد الفرصة ودخل مترنحًا إلى مكتب وكيل النيابة، ولكنه سقط أرضًا بعد خطوتين.

وكيل النيابة: ما هذا القرف؟! من هذا؟!

العسكري يحاول أن يجعله يقف على الأرض: يريد الإدلاء بشهادته في قضية الانتحار، يقول أنه الجاني.

رائد بلسان خدر وعقل مترنح: أريد.. أريد الاعتراف بقتلي للمى..

***

## (7)

كانت تثبت الحلق بأذنها الذي كان عبارة عن فص من اللؤلؤ، وأتى كريم وقبل عنقها قبلة سريعة وأخذ يمشط شعره، ابتسمت له وأعطته العقد الذي يوجد به لؤلؤة واحدة كبيرة كي يساعدها على ارتدائه، ومن ثم ثبتت الأسورة بيدها والتي كانت عبارة عن سلسال فضي به لؤلؤة واحدة، كان طقمًا في غاية الرقة وبدي رائع على بشرتها البيضاء.

تأملت لمى نفسها بالمرآة وأخذت ترتب فستانها، كان فستانًا رائعًا هو الآخر، يصل إلى أسفل ركبتها، وقصير الأكمام ومليئًا بالورود مثل موضة فترة الستينات، لم يكن أحد يرتدي هكذا ولكنها كانت تحب ذلك، تحب الفساتين الملونة بشدة ولا تبالي بالموضة الحالية، فقط ترتدي ما تحب.

لمى بحب: كريم إن الطقم رائع، شديد الرقة، أشعر أنه حقيقي.

ضحك كريم وأخرج من العلبة طوقًا: إنه بالفعل حقيقي يا لمى.

شهقت لمى: ما الذي تقوله؟ لقد انتهيت لتوك من أقساط الشقة، لمَ أزعجت نفسك يا كريم؟!

ضمها كريم ونظر إلى صورتها في المرآة: أما آن الأوان كي أجلب لكِ الشبكة خاصتك؟ أنت تأجلين هذا الأمر كل شهر، وربما جلبت لك فستان زفاف الشهر القادم وأقمت حفل العرس الذي لم يُقم إلى الآن.

التفتت له وضمته بشدة لها، إنه كل ما تملك: أحبك يا كريم، أنت أروع زوج على الإطلاق.

كريم يتحدث بجدية: أنا لا أمزح، أنا أرغب حقًا بإقامة عرس لك.

تنهدت لمى ونظرت أمامها: أخبرتك سابقًا أن العرس يقام كي تفرح مع

أقاربك وأصدقائك، ونحن لا أقارب ولا أصدقاء لنا، من عساه يفرح لنا؟!

كريم: أود رؤيتك بهذا الفستان.

ابتسمت لمى له كي لا يحزن: حسنًا يا كريم، لا أمانع حقًا ارتداءه.

جعلها ترتدي الطوق، وثبتته لمى على رأسها، كان مرصعًا بحبات اللؤلؤ هو الآخر، وشهقت لمى: أيها المجنون، لا بد أنه غالي الثمن!

ضحك كريم: لا، الطوق مزيف، لا أستطيع تحمل كلفته، ولكني أعشق رؤيتك ترتدينه، يجعلك تبدين كالأطفال.

لمى بمكر: ولكنني لست بطفلة.

قبل طرف أنفها برقة: سوف تظلين طفلتي إلى الأبد.

أمسك بيدها وأخذ العلبة التي جهزا بها الطعام ونزلا للأسفل، ولكن قبل إغلاق الباب وقف سيزر يتوسل لهما بمواء ناعم.

لمى تتوسل كريم: إنه لا يخرج أبدًا، دعني آخذه معنا.

زفر الهواء بحنق من ذلك القط المتطفل، وحملته لمى بسرعة قبل أن يغير كريم رأيه.

حالما دخلا إلى الحديقة كان الجميع تقريبًا موجودًا، خفضت لمى نظرها وأحست بتلك السهام الحارقة التي ترشق جسدها، لا تحب هذا أبدًا، لا تحب التواجد هنا لكنها لا تستطيع إغضاب كريم.

توجهت إلى جوار السيدة هناء بعد أن حيت الجميع بصوت خفيض وجلست إلى جوارها، إنها من القلائل اللاتي لا ترى على وجهها أي شيء من الأشياء السيئة التي تراها على وجوه الناس، أشياء تخبرها بما يوجد بداخلهم من حقد أو غل أو حسد إلخ..

رحبت بها السيدة هناء، وأتت ابنتها لمى الصغرى التي كانت معجبة بلمى كثيرًا، وأخبرتها مرة أخرى أن لها نفس الاسم، وأخذت تلاعب سيزر القابع بحضن لمى.

أتى الصغار كلهم وتجمعوا حول لمى يرغبون بحمل القط واللعب معه، وتفاجأ الجميع بضحكها ومرحها مع الأطفال.

أما عن كريم فتوجه ناحية الرجال وأخبرهم بأن له خبرة لا بأس بها بالشواء، كان يرغب بمصادقتهم والاندماج معهم، وأخذوا يمزحون ويلقي هو عليهم النكات.

وبعد مدة ذهب نحو لمى التي تفاجأ كثيرًا لضحكها ومرحها مع الأطفال وأخذ يلعب معهم هو الآخر.

بينما العيون تأكل كل منهما بغير رحمة، نظر رشاد إلى يوسف زوج منى ونظر إلى منى التي لا تستطيع إزاحة عينها عن كريم، وأعطاه مروحة الشواء، وتمتم له بسخرية: اعتني بالشواء يا جو وانتبه له جيدًا.

نظر جو نحوه وهو يذهب من أمامه ويراقب نظرات الرجال للمى، ومن ثم ألقى نظرة واحدة ناحية منى زوجته، ثم نظر إلى الشواية ولم يرفع رأسه مرة أخرى.

تململ القط ومل الأطفال منه وذهبوا للعب مرة أخرى، وعاد القط إلى حضن لمى، وبعد مدة شعرت بشعور سيئ للغاية، تلك السهام الحارقة تزداد اشتعالًا، وحالما جلس إلى جوارها علمت من هو على الفور، انتاب جسدها رعشة غريبة ولاحظت عدة نساء ذلك.

حاول أن يتجاذب معها أطراف الحديث عن الجو واليوم ولكنها لم تجبه البتة بأي شيء، وحالما حاول مد يده نحو سيزر غضب القط وقفز من حضن لمى، أخذ يصدر أصواتًا معادية له ومن ثم ركض بعيدًا، لقد رآه القط على حقيقته حية تتلوى!

خفضت رأسها بشدة وأخذت تتمتم لنفسها بأن الأمور بخير ولا شيء سيئ سوف يحدث، عليها بالكف عن رؤية تلك الأشياء، إلا أن الأمر لم يكن كذلك بخصوص رائد، إنها لم تكن ترى شيئًا ما على وجهه لأنها ببساطة لم تنظر لوجهه قط.

لم تستطع فعلها، فحالما يقترب منها أو يتواجد بالجوار يختنق الهواء برئتيها على الفور، وتشعر بشعور سيئ للغاية وكأن هناك طوقًا ما يلتف حول جسدها ويعصره عصرًا.

كانت لتركض صاعدة إلى شقتها ولكن كريمًا حذرها، حذرها كثيرًا من هذا، كان بعيدًا عنها لذا وقفت بعصبية وابتعدت عن الجميع دون أي كلمة سوى الهمهمات التي ترددها لنفسها كي تهدأ من ضربات قلبها المتسارعة بشدة.

منى: تلك الفتاة معتوهة أقسم على ذلك، ألا ترون كيف تتصرف وتتحدث مع نفسها؟!

قال رائد بوجوم ونظراته تلحق بلمى: أخبرتكن أنها ليست همهمات، إنها تعاويذ أنا متأكد من ذلك.

رجاء بقرف وهي تنظر لابنها حاتم الذي تبع لمى وذهب ليحدثها: ألا يمكنك فعل شيء حيال ذلك سيد رائد؟

كانت عين رائد تلمع من الفرحة عندما سألته رجاء: يمكنني طرد تلك الشياطين الموجودة بداخلها ولكن يجب أن تكون وحدها.

عفاف بحقد وهي تنظر لزوجها الذي لم يزح عينه عن لمى وذهب للتحدث معها هي وكريم: إنها لا تذهب لأحد البتة، ومهما حاولنا لا تقبل أي دعوة، ولم يدلف أي أحد إلى شقتها من قبل.

رائد بمكر: تلك ليست مشكلة على الإطلاق.

حدثت سلسلة من الحوادث في ذلك اليوم بعضها كان حادثًا عارضًا والآخر كان مقصودًا من قبل البعض!

حاولت لمى التماسك إلى أقصى درجة، كان الجو صعبًا للغاية، تشم الكره والحقد والكراهية والحسد في كل مكان؛ لذلك ركزت نظرها على الأطفال ومشاهدتهم وهم يلعبون ويمرحون.

سقط وليد في حوض السباحة أثناء ركضه، وسقطت هديل على ركبتها أثناء لعبها وجرحتها بشدة، وبث رائد السم بأذن السيدات بأن نظرات لمى وهمهماتها هي من فعلت ذلك بأبنائهن، ثم حدث شجار بين الأطفال عنيف للغاية جعل الرجال يتدخلون في حله وفض ذلك الشجار العنيف.

من الممكن أن تحدث تلك الأشياء كل يوم وكان الأمر ليكون عاديًا، ولكن رائدًا حرص على ألا يكون عاديًا، وهم حرصوا على تصديقه..

رائد وهو ينظر للمى: غريب لم يحدث هذا من قبل قط!

كريم: إنهم أطفال وطبيعي ما حدث، ألم تتشاجر بطفولتك يا سيد رائد؟!

تقبل كريم الأمر كمزحة، ولكن لمى كانت تعلم ما تعنيه جمله السيد رائد.

لم يكن الأمر يحتاج إلى أكثر من ذلك، وبقول السيد رائد لهن بأنها تلقي بسحرها على رجالهن، كانت تلك القشة التي قسمت ظهر البعير، ووافقت كل منهن على جعل السيد رائد يخرج تلك الشياطين منها أو بمعني أصح يكسر شوكتها!

انتهى اليوم ولكن الغل والأحقاد لم تنته من قلوبهن، وكان الاتفاق على يوم الغد، أجل إنه اليوم الموعود حيث سوف تتخلص كل واحدة منهن من تلك الفتاة الوقحة التي اقتحمت عليهن حياتهن الهادئة المثالية، وحولتها إلى جحيم، وفرقت الأزواج بعضهم عن بعض، وتجاهلوا أنهم كانوا يدعون ذلك، أجل يدعونه.

كل زوج يدعي أنه المحب، وكل زوجة تقبلت ذلك الادّعاء، المهم هو المظهر العام، أن تظهر تلك الأسر بأكمل صورة وأحسن طلة، يشعرون الجميع من حولهم بالسعادة والمثالية والهدوء.

وبداخلهم براكين الضغينة والكره كانت تثور وتتمرد، ولكن تلك البراكين الحاقدة بداخلهم كانت السبب في نهايتهم جميعًا.

***

طرقات عنيفة للغاية وصراخ حاد من كريم: افتح الباب أيها الوغد، افتح الآن.

استمرت الطرقات العنيفة ولكن ما من مجيب، وخرج بعض السكان على السلم ليرون من يصرخ بحرقة هكذا!

لم يكن هناك من مجيب فأزاح ريمًا التي تحاول تهدئته بيده، ورجع إلى الخلف وركل الباب بكل قوته، فُسخ الباب ودخل كريم إلى الشقة مندفعًا وريم خلفه.

لم ينتبه إلى الرائحة البشعة الموجودة بالمكان من فرط عصبيته ولكن ريمًا انتبهت لها جيدًا ووضعت كم قميصها على أنفها..

في تلك الأثناء بالأعلى جلس أشرف ينفخ السيجار بشراهة ويحك قبضتي يده، ازدرد لعابه وتحدث بتلعثم كبير.

أشرف: أخبرني صديق بأنك تتحدثين إلى الأرواح، تحدثي معها.. اسأليها ما الذي تريده منا..

قاطعته عفاف برجاء وهي تبكي للعجوز: الأطفال لا ذنب لهم بما حدث، دعيها تنتقم منا نحن.

صاح بها أشرف: اخرسي!

و أمسك العجوز من كتفيها وهو يتوسل: أقسم إن جعلتيها ترحل من هنا لأعطينك كل ما تريدين وما يكفيكِ ويفيض عن حاجتك، لن تضطري إلى العمل بعد اليوم أبدًا، فقط اجعليها تذهب من هنا، اجعليها تدعنا وشأننا.

كانت عجوزًا رقيقة نحيفة للغاية بالكاد تتحدث، تمتمت بهدوء شديد.

: هل معك شيء من أغراضها؟!

أخرجت منى إيشاربًا صغيرًا كان قد طار بيوم من الأيام من بلكون لمى وأعطتها إياه.

أمسكت به العجوز ذو اليد المهترئة والشعر الأشيب الحريري برقة شديدة، ووضعته على أنفها وشمت رائحته بعناية شديدة ثم وضعته على الطاولة أمامها، وأخرج مساعدها شمعة عتيقة وأشعلتها

هي بنفسها بيدها النحيلة المرتعشة وهي تتمتم: الأرواح حساسة للغاية، يجب معاملة أغراضهم بعناية شديدة، وإياكم والتحقير من شأنهم.

حالما أطفأت الكبريت سقط العود من يدها، واختفى السواد من عينها وأظهرت شهقات طويلة ذات بحة غريبة، وانتفض جسدها كله وهي تتمتم: أجل.. أجل.. بنيتي المسكينة.. أجل..أجل..

قلق حفيدها للغاية، لم يحدث لها هكذا من قبل، ليس بتلك القوة، وبعد خمس دقائق من الرعب الذي عايشوه هدأت رعشة جسدها مرة أخرى وعاد السواد إلى عينيها من جديد.

حنت رأسها على صدرها تلتقط أنفاسها، وجلب لها حفيدها زجاجة المياه خاصتها، وحاول التحدث معها ولكنها لم تجبه ولم تتحرك من مكانها، وفجأة رفعت رأسها مرة واحدة واشتبكت بنظرات منى المرتعبة مباشرة وتمتمت بجمود.

: تستحقين عقاب شهادة الزور.

ارتعشت كل ذرة بجسد منى وبدأ بكاؤها يصل إلى النحيب، واستولى الرعب على الجميع، حاولت العجوز الوقوف واستندت على عكازها وتمتمت لحفيدها

: أعد لهم نقودهم، لن أساعدهم بشيء.

أشرف رفض أخذ المال وتوسل لها: أرجوك افعلي شيئًا من أجل الأولاد حتى!

كانت دموعها تتساقط على وجنتيها الجعدتين، هزت رأسها رافضة.

: لن أساعدكم البتة، إياك أن تظلم من لا صوت له فالعواقب تكون وخيمة.

سارت بهدوء وحفيدها يعجب من حالها هذا ولكنه ساندها وأدخلها إلى المصعد، وحالما دلفا تمتمت له: توقف بالطابق الأول.

تعالت شهقات منى وبكاؤها وصعدت طفلتها شهد التي تبلغ من العمر عامين السلم وحدها تبحث عن والدتها، ورغم الجلبة الموجودة دخلت الفتاة باب منزل عفاف والذعر بادٍ على وجهها، ورغم رؤيتها لوالدتها فإنها لم تقترب منها بل ظلت تشاهدها وهي مذعورة.

رفعت منى رأسها فجأة ونظرت لطفلتها مطولًا ومن ثم دلفت إلى المطبخ الخاص بعفاف وهي منومة، وعادت وبيدها سكين كبير، ذعر الجميع والتصقوا بالحائط مبتعدين عنها بينما هي كانت تبكي بشدة، وبلسان ثقيل للغاية ترجتهم بأن يزيحوا الفتاة من أمامها، كانت تتقدم في بطء بخطى واثقة ويدها ممسكة على السكين بثقة أيضًا، ولكن رأسها ودموعها ونحيبها لم يكونوا تحت سيطرة الروح التي تنتقم منهم جميعًا.

لم يطعها أحد، الجميع خشي من التدخل، لربما أتت ساعته قبل ميعادها، لذلك أخذت تصرخ بشدة وانتفخت عروقها واحمر وجهها بشدة، رغم ذلك الصوت كان يخرج منها ضعيفًا ونحيفًا للغاية: اهربي يا شهد، ابتعدي عني، لا تقربيني.

تعالى صراخ من أسفل السلم: شهد، شهد.

وحين رأى باب منزل عفاف مفتوحًا هم بسؤالهم عن شهد، ولكن المشهد الذي رأى به زوجته والألم ينضح من كل ذرة بها تصرخ وصوتها يخرج واهنًا ضعيفًا، وممسكة بالسكين وتمشي بخطي بطيئة ولكنها ثابتة، جعله يفهم كل شيء، لقد أصابتها اللعنة، مشى نحوها يمنعها عن ما تريد فعله ولكن رشادًا أمسك به بشدة.

: لا تتدخل، لقد حانت ساعتها، لا يمكنك فعل شيء.

نظر لصغيرته وهز رأسه رافضًا بشدة، لا يمكنه فعل شيء لمنى، لقد باعت روحها من زمن، ولكنه لن يدع صغيرته تذهب من أمام عينه، نفض رشاد عنه واتجه نحو ابنته يحول بينها وبين والدتها، ضم الصغيرة بشدة وانحنى على ركبته يحميها بظهره وجسده كله، وأغمض عيني الصغيرة وأخذ يتمتم بأذنها.

: سوف نكون بخير يا عزيزتي، لم نخطئ في حق أحد.

علي بعد متر واحد توقفت منى التي ما زالت تحاول الصراخ وطلب النجدة ولكن لا أحد يجرؤ على التدخل، رفعت يدها وعينيها تصرخ بالكل تطلب النجدة، لكن لا نجدة لها اليوم، رفعت السكين ورفعت يدها اليسرى إلى فمها وأمسكت بلسانها وأخرجته، وبضربة واحدة من السكين قطعته!

كان صراخ عفاف ورجاء هستيريًا وغير طبيعي، منظر الدماء كان مروعًا، بينما أحكم يوسف قبضته على صغيرته أكثر وأكثر، حالما سمع صوت السكين يسقط على الأرض علم بنجاته هو وابنته فحملها ورحل عنهم دون أن يلتفت خلفه..

ظل مكانه وكأن جسده أصبح من الرخام لا من اللحم والعظام، كانت الصدمة أكبر من خياله، لم يتوقع هذا قط في أكثر أحلامه خيالًا وجموحًا، إنها لمى ولا يمكن لأحد غيرها أن يفعل هذا.

راقب المربعات الصغيرة والرسومات الموجودة بداخلها ولم يصدق عينه، لقد رسمت كل ما حدث لها، كل شيء لقد علم بكل شيء، كان في صدمته هذه بحيث لم يستطع الانتباه إلى صراخ ريم الهستيري خلفه، الذي أصابها حالما انتبهت إلى أن تلك الرسومات مرسومة بالدم، رفعت يدها إلى أذنها وأخذت تصرخ بشدة إلى أن خرجت من الشقة وما زالت على حالها هذا.

اصطدمت بالعجوز التي ضمتها وهدأت من روعها وأجلستها أرضًا، وكفت ريم عن الصراخ حينها وضمت ساقيها إليها بشدة في محاوله عابثة منها كي توقف ارتجاف جسدها ولكنها فشلت..

خرج كريم وهو غير مصدق رغم ما قالته ريم له، رغم الصحيفة فإنه كان يظن أنها محض صدف، حتمًا هناك خطب ما، لا يمكن أن تكون تلك هي لمى، أما الآن فبات واثقًا من أنها زوجته.

أمسكت العجوز بذراع كريم وسحبته إلى جوار ريم وتحسست وجهه بأصابعها المرتعشة، وتمتمت ودموع رقيقة للغاية تنزل على وجنتيها: إنها بريئة يا بني.

هز رأسه ببطء شديد وتمتم: أعلم.

أردفت العجوز بابتسامة هادئة: وتُحبك.

تركته وركبت المصعد مرة أخرى، وبكى هو بشدة، يا إلهي كم أشتاق إليها! أسند ظهره بتعب على الجدار من كثرة البكاء، وسقط أرضًا إلى جوار ريم يبكي وينتحب كالأطفال وجسده كله يرتعش ويهتز.

نزل سكان البرج كلهم عندما علموا بوجود كريم بالأسفل، نزلت عفاف على ركبتيها أمامه تتوسل وهي تبكي له: تحدث معها، أخبرها بأن الأطفال لا شأن لهم.. لقد.. لقد افترينا عليها، أقسم أنها بريئة، سوف نخبر العالم كله أنها بريئة.. اجعلها تتوقف.. أخبرها بأن ترحمنا، يكفي أرجوك، لقد تدمرت عائلتي يكفيني.. أرجوك، وذهبت في نوبة من البكاء الحاد، وتردد الهمس على السلم في كل مكان يطلب الصفح والعفو منه.

تكلم كريم بتعب شديد: وأنا من يرحمني؟! لمَ لم ترحموها أنتم؟! ما الذي فعلته سيئًا لكم بيوم من الأيام؟!

كانت نبرته تزداد حدة وقوة كلما تحدث.

توسلت له كل من عفاف ورجاء: نحن نستحق العقاب لكن ما ذنب الأطفال، إنهم أبرياء لا ذنب لهم.

بكى كريم بحدة وصرخ بهم: وماذا عن طفليّ أنا؟! إنهما بريئان لم يفعلا أي شيء.

ارتعشت عفاف وسألته برعب: عن أي طفلين تتحدث؟!

خفض كريم رأسه: لقد أخذتم العائلة الوحيدة التي حصلت عليها بيوم من الأيام، لقد قتلتم ثلاثة أرواح أبرياء لا ذنب لهم إطلاقًا، لقد كانت حاملًا بتوأم بآخر شهرها الرابع..

هزت عفاف ورجاء رأسيهما رافضين برعب: اللعنة!

***

(8)

صعدت من تلك العزومة منكمشة على نفسها بشدة، ظل يراقبها وهي تجيء وتذهب وتمسح دموعها، لم تكن حالتها طبيعية إطلاقًا، أشفق عليها بشدة وذهب لها.

كريم: آسف يا لمى لن أجبرك على ذلك مرة أخرى.

لم تجبه بأي شيء، ضمته لها بقوة وأخذت تبكي بشدة وتنتحب.

لمى: أنا لا أتوهم هذا يا كريم، أنا لا أتوهم، إنهم سيئون.

كريم بأسى: أنت من طلبت مني ذلك يا لمى، ألم تخبريني بأنك تريدين التغيير من أجل طفلينا؟ عليكِ بأن تصبحي شجاعة وأن تندمجي مع الناس لأجلهما يا لمى.

حاولت أن تهدئ من نفسها ومن رعشتها: لا أحب المكان هنا، هذا الرجل رائد، إنه حية.

كريم بغضب: هل فعل لكِ شيئًا ما؟ أخبريني يا لمى لا تخشي شيئًا.

لمى هزت رأسها نافية: لا لم يفعل، ولكنني أشعر وكأنه حية تتلوى، لا ينتمي للبشر بشيء.

ضمها له مرة أخرى وقبل رأسها وأدخلها إلى غرفة النوم، ودثرها جيدًا وذهب وعاد بعد برهة ومعه كوب حليب.

كريم بحنو: هيا يا حبيبتي لم تأكلي شيئًا اليوم، ولداي يصرخان من الجوع بسببك.

ووضع رأسه على بطنها وتحدث معهما: يا لها من أم قاسية القلب، لا تقلقا يا حبيباي سوف أعتني بكما رغمًا عن أنفها.

ضحكت لمى وحاولت شرب الحليب بأعجوبة من أجله، وظل هو يتحدث معهما ويقبل بطنها ويضع أذنه عليها ويدعي الاستماع لهما، وخلق حوار رائع بينهم جعل لمى تبتسم بشدة وتربت على رأس كريم وتبعثر خصلات شعرة بحنو.

جاء سيزر وقفز إلى جوارهما وأخذ يمر برأسه على يد لمى كي تداعبه مثل كريم، وأخذت هي تعبث بيدها في فروه السميك.

كريم بغضب: اللعنة على هذا القط، إنه لا يجعلني أهنأ معك بأي شيء، اغرب عن وجهي، اخرج من هنا.

زمجر القط بمواء وصعد على حجر لمى وأخذ يهز بذيله، اشتاط كريم من الغضب وصاح: إنه يتعمد مضايقتي!

ضحكت لمى وداعبت القط: هيا يا سيزر، دعنا وحدنا قليلًا من فضلك.

ذهب نحوها وأخذ يمسح برأسه بيدها ثم نزل بهدوء وغادر الغرفة وسط تعجب كريم الذي صاح: أقسم أنه يتعمد إغاظتي!

لمى: دعك منه يا كريم، وكف عن مضايقته.

كريم بعجب: حقًا أخبريه هو بذلك، على أية حال لم أعد أريده في المنزل، يكفيني أن هذين الاثنين سوف يشاركانني بك.

لمى بمكر: هناك من يشعر بالغيرة من حبيبيّ الصغيرين.

توعدها: أقسم إن انتبهتِ لهما أكثر مني لعاقبتك بشدة، وأنتما عليكما بالحذر، إنها أفضل أم حصلت عليها وسوف أعاقب كل من يضايقها، هل هذا واضح؟!

أزاحت لمى يده: لا تصرخ عليهما!

ظلا هكذا، كريم يتوعدها وهي تضحك على غيرته هذه، وكل منهما يربت على الجنينين اللذين يتحركان من حين إلى آخر حركات هادئة لا يشعر بها سوى لمى، وكف كريم الذي يربت عليهما برقة وينتظر قدومهما إلى الدنيا بفارغ الصبر كي يكونا العائلة التي لطالما حرم هو منها.

غفت لمى ورأسها على صدره، وبالساعة الخامسة صباحًا تقريبًا، استيقظت وهي تصرخ بشدة.

جلب كريم لها الماء وحاول تهدئتها ولكنها لم تستطع قط، لقد كان الحلم بشعًا للغاية.

كريم بقلق: ماذا هناك، ما الذي رأيته؟!

كانت تبكي بشدة: كابوس بشع، لقد كان هناك ثعبان كبير التف حولي وأخذ يعصر جسدي إلى أن مت.

ضمها له بشدة: اهدئي حبيبتي، اهدئي.. لا شيء سيئ سوف يحدث، أعدك بهذا يا لمى، سوف أدير بالي عليك جيدًا، لا شيء سوف يصيب عائلتنا الصغيرة.

حاول تهدئتها وأخفت هي دموعها ورعبها عنه إلى أن غفا كريم مرة أخرى، بينما هي لم تستطع قط، كانت تعلم أن هناك شيئًا سيئًا للغاية سوف يحدث، أسوأ من أي شيء حدث لها من قبل.

وضعت له الفطور وحاولت التماسك قدر إمكانها وساعدته بملابسه ومشطت شعره، وأثناء ما كانت تضع الساعة حول معصمه جذبها برقة إليه.

: صرتِ أفضل.

هزت رأسها بهدوء: أجل.

تناول كوب القهوة وعدة لقيمات تحت أنظارها الشغوفة به، كانت تودعه بعينها تقريبًا، رافقته إلى الباب وانحنى هو على ركبته ووضع كفيه على خصرها وتكلم إلى بطنها: أعلم بأن أحدكما صبي، عليك الاهتمام بأمك وبأختك لحين عودتي، هل هذا واضح؟! لا بد أنك ورثت جينات البطولة من والدك، لا تدعهما يغيبان عن ناظرك.

ووقف وقبلها مطولًا بينما هي لم ترد تركه قط، وعاتبها هو برقة: لمى، أنت فاسدة، تريدين إبعادي عن العمل اليوم.

: لا تذهب يا كريم، ليس اليوم، ابق معي.

قبل رأسها وضمها إليه: أتمنى حقًا لو أستطيع، لا أريد تركك هكذا ولكن علي بتسليم أوراق هامة اليوم، أعدك بأن آتي باكرًا.

ظلت متمسكة به بشدة ولم تتركه إلا بعد مدة طويلة: أحبك بشدة، أنت كل ما لدي.

كريم برقة: أعلم يا حبيبتي، انتبهي لنفسك، سوف أعود باكرًا أعدك بهذا.

تركها وقلبه ممزق عليها، لم تكن هكذا، لم تكن هكذا أبدًا، لم تنتبها تلك الوساوس بهذا السوء من قبل، علي بالبحث عن سكن آخر علّها تعود إلى لمى التي أعرفها مرة أخرى.

***

وكيل النيابة باشمئزاز من رائد ومن كلامه: هل لديك أقوال أخرى أيها المقرف؟!

رائد بإنهاك: لا.

استدعى العسكري وأشار نحو رائد بقرف: خذه ولكن لا تضعه مع أحد، ضعه بالزنزانة الصغرى.

ثم التفت إلى من يكتب المحضر..

: استدعي الزوج وسكان البرج، سوف نفتح التحقيق مرة أخرى..

***

أغلقت الباب خلفه وأغلقت الأقفال كلها وضمت نفسها كي توقف الرعشة التي انتابتها، وضعت كفيها على بطنها وتحدثت برقة لطفليها.

: حسنًا على بإطعامكما شيئًا ما، لن أهملكما مثل البارحة، أنتما حبيباي الصغيران، أعلم كم هو سيء الجوع، أعدكما بأن لا يصيبكما الجوع مثلما كان يصيبني.

اتجهت إلى المطبخ وحاولت إدخال أي شيء إلى فمها ولكنها لم تستطع، وذهبت إلى غرفتهما التي أعدتها بعد أسبوعين فقط منذ أن علمت بحملها، وأخذت تدور بها وتمنت لو أنها لم تكن متحمسة هكذا لكان لديها شيء ما تفعله بدلًا من التفكير في الحلم السيئ. أخرجت إبر الحياكة وكتيب كي تختار شيئًا للأطفال، ولكن يدها المرتعشة جعلت المهمة مستحيلة فتركت الإبر وتكورت على نفسها تتمتم بخوف: لقد وعدني كريم سوف يأتي باكرًا لن يتأخر، إنه يوفي بوعده دائمًا، والدكما أروع شخص قابلته بحياتي كلها.

أخرجت الهاتف وأخذت تقلب بالصور تشاهد كريم بها وتشاهد صورها معه منذ أن عرفها إلى اليوم، لقد كان مولعًا بتصويرها وهي الأخرى لا تلتقط الصور إلا له أو معه، أوشكت على ضغط زر الاتصال به، ولكنها تعلم بأنه سوف يقلق كثيرًا فاكتفت بمشاهدة الصور خاصته.

دق الباب وفزعت من مكانها، لم يمر على نزول كريم ساعة، من عساه يدق الباب؟ وانقبض قلبها كثيرًا من الحلم السيئ، اتجهت إلى الباب وهي مرتعبة وأتت بكرسي صغير كان إلى جوار الباب، وقفت عليه، وراقبت من العين الموجودة بالباب، وجدت طفلًا صغيرًا يقف أمامها، هدأت ضربات قلبها المضطرب قليلًا ونزلت وأزاحت الكرسي وفتحت له، ولكن تركت السلسال عليه وتحدثت إلى الصغير من تلك الفتحة الضيقة.

لمى: أهلًا بك، هيثم أليس كذلك؟!

هز الصغير رأسه: أجل، هل يمكنني مداعبة سيزر قليلًا؟!

أطمأنت لمى وهزت رأسها وفتحت الباب له وانحنت نحوه: هل أحببته؟!

هيثم: أجل إنه رائع.

وقبل وجنتها وضحكت هي بشدة وركض إلى داخل الشقة انحنى على سيزر، وربت عليه عدة مرات، ثم وقف وهم بالخروج راكضًا بينما لمى كانت تبحث له عن قطعة شوكولا.

لمى: انتظر لم تجلس شيئًا!

هيثم: سوف أعود مرة أخرى، أخبرني أبي بأن لا أتاخر.

همت بغلق الباب مرة أخرى ولكنه لم يُغلق، وجدت قدمًا محشورة منعت غلقه، شهقت ونظرت إلى الخارج تتساءل ترى قدم من هذه؟! وحالما رأت صاحبها انسحب الهواء من رئتيها حاولت غلق الباب بسرعة، ولكنه أزاحها إلى الخلف ودخل وأغلق الباب وعلى فمه ابتسامة سامة مثله.

لمى بصوت وجسد يرتعش: بأي.. حق.. تدخل.. إلى هنا؟! اخرج حالًا.

رائد بابتسامة ماكرة: آه حسنًا لي كل الحق يا عزيزتي، هذا منزلي.

لمى بارتعاش: لا هذا ليس منزلك، اخرج حالًا ولا تعد أبدًا وإلا أخبرت كريمًا عنك.

ضحك باستفزاز: آه يا عزيزتي الصغيرة، ليس كل شيء يمكنك إخباره لزوجك، هناك أشياء تبدأ بالخفاء وتظل بالخفاء.

ردت برعب: ما.. ما.. الذي تقوله أيها المخبول؟ اخرج الآن وإلا صرخت بشدة وسوف يصعد السكان لنجدتي ويفضح أمرك.

ضحك مقهقهًا: يا لك من صغيرة ساذجة يا لمى، السكان هم من توسلوا لي كي أصعد لكِ.

شهقت برعب: ماذا؟! مستحيل، اخرج الآن.

هز رأسه يؤكد على كلامه: بلى يا عزيزتي، علي بإخراج تلك الشياطين منك يا لمى، فقط دعي نفسك لي وسوف تتخلصين من تلك الأشياء التي ترينها يا عزيزتي، أعلم بشأنك يا لمى، أعلم كل شيء، أسمع ما ترددينه وتهمسين به إلى نفسك دائمًا.

وهز رأسه مدعي البراءة: حسنًا يا لمى، إن العالم ليس ذلك المكان الوردي حقًا، وعليك بالنزول من برجك العاجي هذا، عليك برؤية وجهه الحقيقي.

عفاف بعصبية: هيا يا هيثم انزل إلى الأسفل حالًا.

والتفتت إلى زوجها..

: ما الذي تفعله هنا؟! ألم يدلف رائد إلى شقتها وانتهى الأمر؟!

أشرف: ربما احتاج إلى مساعدتي.

عفاف بقرف: لا يا عزيزي، يكفي توريطك لهيثم بهذا الأمر القذر.

أشرف: لمَ وافقتِ إذًا؟!

عفاف بغل شديد: كي تذهب من هنا وتترك البرج، علّك تعود إلى صوابك الذي فقدته أيها المراهق المقرف.

ونزلت إلى الأسفل بينما ربت رشاد على أشرف: دعنا نذهب من هنا الآن.

أشرف: كم كنت أتمنى لو يمكنني مساعدته.

ضحك رشاد بخبث: بالمرة القادمة يا عزيزي.

لمى تعالت أنفاسها المرتعبة وأصبح صدرها يعلو ويهبط في عصبية شديدة وتتراجع إلى الخلف في خطى حذرة، وسالت دموع رعبها رغمًا عنها.

لمى: اخرج أيها الملعون من هنا في الحال.

رائد: ليس قبل أن أنهي ما أتيت من أجله يا عزيزتي، فالجميع يخشى على أطفاله منك ومن عينك التي أصابتهم، وعلي بإخراج تلك الشياطين منك، أنصحك بأن لا تقاوميني يا لمى فأنت وحدك من سيتألم.

كانت نظراته سهامًا حارقة تخترق كل شبر بجسدها، وارتعشت كل ذرة وشعرة بها، تعلم ما يريده هذا الوغد، على وجهه تلك النظرة الحقيرة التي كانت على وجه ابن عمها وأرعبتها سنوات طوال ومنعتها من عيش حياتها كطفلة أو كأنثى عادية.

هزت رأسها غير مصدقة: لا بد أنك مجنون تمامًا، كيف تظن أنك سوف تنجو بفعلتك هذه؟!

ضحك بشدة: الجميع ينجون بفعلتهم اليوم يا لمى.. الجميع، وأنا الآخر سوف أنجو، صدقيني يا عزيزتي.

صرخت به من شدة رعبها: سوف أخبر الشرطة، سوف أخبر كريم، سوف أصرخ إلى ما لا نهاية.

لم تهتز له شعرة وازداد رعبها أضعافًا مضاعفة عندما تحدث بكل برودة.

: لن يصدقك أحد، الجميع سوف يشهد معي بأنكِ فتاة لعوب كلما ذهب زوجك أتى الرجال إلى هنا.

واقترب منها وقال بأسى مصطنع: أما عن كريم خاصتك صدقيني يا عزيزتي لن يسمع منك حرفًا واحدًا وإن كان كريمًا معك حقًا سوف يلقي بكِ على الطرقات دون أن يلتفت وراءه، ففي نهاية الأمر أنت فتاة عاهرة يا لمى، ولا أعتقد أن لكِ عائلة أو أحدًا يهتم بك، دعيني أهتم بك يا عزيزتي، لن تندمي مطلقًا.

صفعته على وجهه بشدة وهمت بالركض، كل ما أرادته هو أخذ هاتفها والاتصال بكريم، ولكنها لم تبتعد أكثر من متر وكان جاذبًا إياها بحدة من شعرها..

سمعت هناء أصواتًا عالية قادمة من شقة لمى وارتبكت كثيرًا وشعرت بأن شيئًا ما سيئًا يحدث، فهي في العادة هادئة للغاية ولا يصدر عن شقتها أي صوت، خرجت بحذر إلى الخارج وتأكدت من صوت الجلبة والصراخ، وقفت أمام شقتها وسمعت صوت لمى تصرخ بوضوح طالبة للنجدة، أخذت تطرق بابها بشدة وتصرخ هي الأخرى بأعلى صوت لديها.

هناء صارخة: لمى، لمى، النجدة، النجدة ليساعدنا أحدكم، النجدة.

صعد أشرف وهبط رشاد من الدور الذي يعلوها ونظرا لها نظرة جامدة.

أشرف ببرودة: ماذا هناك؟!

صرخت به: ألا تسمع؟ اكسر الباب، إنها تحتاج إلى المساعدة، لا بد أن هناك لصًا ما بالداخل.

بنفس البرودة: عودي إلى شقتك يا هناء، إنها مخبولة والكل يعلم ذلك، لا شأن لنا.

صرخت برشاد: افعل شيئا، إنه يؤذي الفتاة.

وأخذت تضرب الباب بحدة تصرخ بلمى: تماسكي سوف ندخل الآن.

أمسك رشاد معصمها بعصبية: من بالداخل؟

هناء بهلع: لا أعلم ولكن لا بد أنه يؤذيها، ألا تسمع صراخها؟!

أشرف بلهجة حذرة: عودي إلى شقتك يا هناء، الفتاة مخبولة وسيئة السمعة، لا شأن لنا بها، عودي الآن لمصلحتك وسمعتك الخاصة.

كان التهديد صريحًا في أعينهما، تراجعت برعب إلى شقتها وأغلقتها عليها جيدًا، وشاهدت ابنها أحمد وابنتها لمى مرتعبان، ضمتهما لها بشدة ودخلت بهما إلى غرفتهما وأغلقت الشباك سريعًا، وأجلستهما، وبصوت مرتعش تحدثت إلى ابنها الكبير.

هناء: انتبه إلى أختك جيدًا وأغلق الباب ولا تفتحه تحت أي ظرف إلا إذا سمعتني أنا، هل هذا واضح يا أحمد؟

هز رأسه سريعًا وأغلق الباب خلفها وضم أخته بشدة له كي يطمئنها.

أغلقت جميع أقفال الباب ووضعت قطعة أثاث خلفه وأخرجت سكينًا كبيرًا من درجها، ووقفت خلف الباب وهي تطلب الهاتف بيد مرتعشة:

: ألو شرطه النجدة؟! برجاء القدوم إلى...

: أجل، يوجد حالة اعتداء..

كان هذا أفضل شيء تمكنت من فعله فهي تسكن هنا وحدها وزوجها خارج البلاد ولا يمكنها فعل شيء آخر..

سقطت أرضًا وأصبح هو فوقها، تشعر بأنفاسه السامة عليها، تصرخ بأعلى صوت لديها ولكن ما من مجيب.

رائد وهو يلهث: لقد ذهبت النجدة يا عزيزتي، تدللي كيفما شئت فهذا يزيدك حلاوة يا لمى.

كانت تدفع بوجهه بعيدًا عنها بكل قوتها وأخذت تبكي تطلب منه الرحمة: ارحمني رجاءً لم أفعل لك شيئًا من قبل قط، دعني وشأني أيها الوغد.

ضحك بسخرية منها: لا مكان للرحمة اليوم يا عزيزتي.

حاولت مد يدها اليمنى قدر استطاعتها واستمرت بدفع رأسه الكريه بعيدًا عنها بيدها اليسرى، جذبت المفرش الذي يتدلى عن الطاولة الصغيرة وسقط الهاتف وفازة صغير كان على الطاولة، أمسكت بالفازة وضربته على رأسه.

تراجع عنها لبرهة وأخذ يسب ويلعن، وزحفت هي على ركبتها بعد أن أمسكت بالهاتف وظلت تزحف راكضة، ولكنه أمسك بقدمها بغل وسحبها إليه مرة أخرى، ركلت وجهه بقدمها الحرة، وانطلقت إلى البلكون ولكن أثناء ركضها طار منها الهاتف إلى الأسفل وسقط بحوض السباحة.

أغلقت الشرفة عليها من الخارج وأخذت تصرخ طالبة النجدة، كانت تبكي بشدة بعد أن استنزفت كل قوتها، وضعت يدها على بطنها تشعر بألم بالغ بها بعد هذا العراك الدامي، ازدادت حدة الخبط وراءها، كان الباب يفتح ويغلق على ظهرها، ضمت بطنها وتحدثت إلى طفليها: آسفة، آسفة للغاية، لا أستطيع أن يجعله يلمسني، لربما نجونا، لربما نجونا سوف أحاول لأجلكما، كل ما علي هو أن أطفو وأهرب بعيدًا عن هنا، سوف يصدقني والدكما.

كان بكاؤها غير عادي، حاولت بكل مقدورها سد الباب كي لا يدلف إلى البلكون ولكن قواها قد خارت تمامًا، صرخت طالبة النجدة مرة أخرى علّ أحدًا يساعدها، ولكن لم يساعدها أحد أبدًا، وضعت يدها على بطنها واعتذرت لطفليها.

: سوف أحاول يا حبيباي، سوف أحاول.

أخذت نفسًا عميقًا وقفزت من البلكون وسقطت بحوض السباحة، تلك القفزة العالية جعلتها تهبط إلى القاع، وبأعجوبة صعدت إلى السطح مرة أخرى، ولكنها لا تعلم السباحة، حاولت أن تصل إلى أي حافة ولكن عبثًا، كانت تسقط إلى الأسفل، رأتهم ينظرون لها من خلف الشبابيك وطلبت النجدة منهم.

: النجدة.. رجاءً.. أغغغ ساعدوني..اغغغغغ اطف اغغغ اطفا اغغغغغ.

هم أشرف بالنزول لها ولكن رشادًا أمسك به بشدة: هل جننت يا رائد هذا الغبي سوف يدمرنا كلنا ليس هذا ما اتفقنا عليه، لا تتدخل يكفي ما حدث إلى الآن.

وقف كل منهم يشاهدونها وهي تغرق وتطلب النجدة من قلوبهم الحجرية التي لا حياة فيها.

راقبتها عفاف ورجاء كل واحدة من خلف شباكها ولم تشعر ولا واحدة منهما بذرة عطف نحوها، عفاف تتمنى اختفاءها كي يعود لها زوجها، ورجاء تشعر بالقهر من ابنها وزوجها لإعجابهما الشديد بها، بينما منى شاهدتها تغرق بتشفٍ واضح، وأخيرًا سوف تنزاح من طريقها ويصبح لديها فرصة مع كريم.

: ساعدوني اغغغغغ من أجل اغغغغغغغ طفل.. اغغغغغغ.

تشبعت رئتيها تمامًا بالماء وتعب جسدها الهزيل من المقاومة، وضعت يدها مرة أخيرة على بطنها تعتذر من طفليها وغاصت إلى القاع.

كانت هناء لا تزال تنتظر خلف بابها، وعندما هدأت الأصوات دب الذعر في قلبها، صعدت إلى البلكون خاصتها وأخذت تراقب الطريق، اللعنة لمَ تأخرت الشرطة هكذا؟ وأثناء ما كانت تبحث بعينها وقعت عينها على جثة لمى الموجودة بحوض السباحة، صرخت بأعلى صوت لديها من الرعب وبعد ذلك سقطت مغشيًا عليها.

## (9)

**بالكاد تمالكت نفسها وهي تجلس أمام وكيل النيابة، كانت دموعها تتساقط من غير حساب، ما زالت الصدمة تنهش بعقلها، لم تستوعب ما حدث قط إلى تلك اللحظة، جاءها صوت وكيل النيابة وأخرجها من شرودها.**

**وكيل النيابة: سيدة هناء، رجاءً تمالكي نفسك قليلًا واشربي القليل من الماء.**

**بيد مرتعشة تناولت الكوب وشربت شربة واحدة كي تزيح غصة الرعب الموجودة بحلقها وتتمكن من الرد عليه.**

**: حسنًا، جميع سكان البرج تقريبًا أقروا بأن الفتاة مخبولة وسيئة السمعة عداك أنت يا سيدة هناء؛ لذا سوف أعيد الأسئلة عليك مرة أخرى وعليك بالتركيز، فأنت الأقرب لها ورغم ذلك معلوماتك قليلة وغير متناسقة مع باقي سكان البرج.**

**س: هل رأيت رجالًا يترددون على منزلها بعد ذهاب زوجها؟**

**ج: لا.**

س: هل رأيت أي أحد يتردد عليها من قبل؟

ج: لا.

س: هل تظنين أنها قدمت على الانتحار بسبب تهديدات الرجل الذي كان لديها اليوم؟!

ج: لا لم تنتحر، لقد دفعها أحد ما، لقد كانت تصرخ طالبة للنجدة.

س: ولكن عند استجواب كل من السيد رشاد والسيد أشرف أكدا بأنهما لم يكونا بالمنزل في ذلك الوقت.

جاوبت مسرعة: مستحيل، لقد طلبت منهما النجدة ولم يصدقاني.

س: لما لم يصدقاكِ؟!

ج: رفضا تقديم المساعدة متعللين بأنها فتاه مخبولة.

س: هذه هي أقوال كل السكان تقريبًا، لمَ تصرين على العكس يا سيدة هناء؟!

ج: الفتاة لم يكن بها أي شيء، لقد كانت هادئة للغاية وخجولة؛ لذلك لم تكن تتحدث مع أحد.

نظر في الورق أمامه ثم سأل: ولكن كلًا من السيدة رجاء والسيدة عفاف والسيدة منى أكدن أنهن رأين رجالًا يترددون عليها مرارًا وتكرارًا رغم أنهم لا يمكثون في نفس الطابق معها.

ج: لم أر أحدًا مطلقًا سوى زوجها يدلف إلى الشقة.

**س: حسنًا يا سيدة هناء، سوف أستجوبك لآخر مرة وصدقًا هذا قد يعرضك للخطر؛ فأقولك الوحيدة التي لا تطابق أقوال الجميع، هل سمعت رجلًا يهدد المدعوة لمى بفضح علاقتهما لزوجها ولذلك قامت برمي نفسها خوفًا من زوجها؟!**

**ج: لا، لقد كانت تطلب النجدة ولا أظنها أقدمت على الانتحار، هناك من دفعها.**

**س: عند وصول الشرطة لم يكن هناك أحد مطلقًا، كما أن كلًا من السيد أشرف والسيد رشاد لم يكونا متواجدين بالمنزل في ذلك الوقت، هل أنت متأكدة من أقوالك يا سيدة هناء؟!**

**ج: مستحيل، لقد أتى كل منهما على صراخي أنا متأكدة من ذلك.**

**: بإمكانك تعين محامي والإمضاء على أقوالك الآن.**

**مضت على أقوالها وانصرفت إلى أولادها.**

***

**لقد كانت فتاه مخبولة وتتحدث مع نفسها على الدوام، لم يكن أحد يود الاقتراب منها، كما أنها بعد الفضيحة التي حدثت لها لا أستبعد أبدًا أن تقدم على الانتحار.**

**س: أية فضيحة يا سيدة منى؟!**

**ج: لقد سمعنا صراخًا وعراكًا ونزل رجل وهو يتوعدها بإرسال صورها إلى زوجها.**

**س: هل يمكنك وصف هذا الشاب؟!**

**ج: أجل لقد كان طويلًا ويرتدي قميصًا أزرق وقبعة على رأسه ونظارة سوداء.**

**س: هل من أي علامة مميزة به يمكنك التعرف عليها؟!**

**ج: لم أر وجهه لقد لمحته من ظهره.**

**س: كيف علمت إذًا بأنه يرتدي نظارة؟!**

**ج: (ازدردت لعابها) لقد لمحته سريعًا وهو يركض على السلم ولم أستطع التحقق من ملامحه.**

**س: حسنًا يا سيدة منى، هل لديك أقوال أخرى؟!**

**ج: الفتاة كانت عاهرة ولا بد أنها انتحرت خوفًا من عقاب زوجها، لم يطقها أحد من السكان، كنا نعلم معدنها الفاسد، كانت تجلس وتتبجح بمفاتنها لأزواجنا، تلك نهاية مثيلاتها.**

***

**س: سيد رائد، أين كنت وقت الحادث؟!**

**ج: كنت لدى الطبيب أيمن، هو ساكن لدي، انزلقت بالحمام وذهبت له كي يضمد لي الجرح.**

**وأشار إلى الجرح الذي حدث له بسبب ضربة الفازة على رأسه.**

**س: هل كنت وحدك هناك؟!**

ج: لا، كان معي كل من السيد رشاد والسيد أشرف، لم تكن حالتي تسمح لي بقيادة السيارة.

س: لمَ لم تصلح كاميرا المراقبة الخاصة بأمن البرج؟

ج: لقد اجتمعت بالسكان وكان القرار بتأجيل هذا الأمر وصرف النقود التي تم تجميعها على الحديقة وشراء بوابة حديدية أقوى.

نظر وكيل النيابة إلى الأوراق أمامه، فأقوال السيد رائد تتطابق مع أقوال سابقيه كلها: حسنًا يا سيد رائد، يمكنك الانصراف الآن لحالتك الصحية، وأرجو أن لا تمانع باستدعائك مرة أخرى إن لزم الأمر.

رحب كثيرًا: لا أمانع مطلقًا، لا بد للحقيقة من أن تظهر، وسوف أقوم بكل ما يلزم من أجل المساعدة.

: شكرًا لتعاونك يا سيد رائد.

: في أي وقت حضرة الوكيل، وبالمناسبة لقد وجدت لسيادتك شقة بنفس الموصفات التي تريدها، سوف أرسل العنوان وكل المعلومات اللازمة لسيادتك برسالة اليوم مساءً.

: شكرا جزيلًا يا سيد رائد.

***

: سيد يوسف، هل رأيت أي شيء مريب على المدعوة لمى؟!

ج: لا.

: جميع السكان أقروا بأنها فتاه سيئة وغريبة الأطوار.

ج: لم ألحظ عليها شيئًا مثيرًا للريبة، لم أرها سوى ثلاث أو أربع مرات.

: هل لاحظت شيئًا على علاقتها بزوجها، هل كانت متوترة؟!

ج: إطلاقًا، لقد بدوا متفاهمين ومتحابين للغاية.

: ولكن أقوال الجميع بما فيهم زوجتك لا تشير إلى ذلك!

يوسف بثبات دون أي تلعثم في الكلام: لم أر أي شيء سيئ عليهما.

تنحنح وكيل النيابة: احم.. هل حاولت المدعوة لمى التحدث معك في أي شيء غير لائق؟! هل كانت متبجحة؟!

ج: لقد كانت في غاية الخجل، لم تبدُ من هذا النوع مطلقًا.

نظر وكيل النيابة إلى يوسف وملامح وجهه الطيبة التي لا يبدو عليها أي شقاوة أو خبرة في هذا العالم، وعلم بأنه لا يمكنه التمييز بين الفتاة الجيدة السمعة وتلك السيئة، فكل رجال البرج وحتى الفتى حاتم أقروا بأنها كانت فتاة لعوبًا.

نظر إلى صورة للمى أخذت من شقتها، بدت كملاك، سخر من نفسه ووضع الصورة جانبًا وحدث نفسه "شيطان بجسد ملاك"، فلا يوجد سوى السيدة هناء والسيد يوسف فقط من ينفيان تلك التهم عنها..

***

س: كريم رجاءً، أعلم أن موقفك صعب، عليك بمدي بأي معلومة في هذا التحقيق، من عساه يتردد على بيتك بدون وجودك به، هل تشك بأحد ما، هل كنت تشك بتصرفاتها؟

ج: لا، ليس هناك أحد.

نطقها بتعب شديد للغاية، لقد كان منهكًا إلى أبعد الحدود، يحاول أن يستوعب ما يحدث معه، هل حقًا اختفت زوجته، هل حقًا لن يراها مرة أخرى، وما هذا الهراء الذي يتحدث عنه الجميع؟! وأي رجل أو رجال يترددون عليها؟ لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا، ولكن لمَ يؤكد سكان البرج كلهم على ذلك؟!

نظر حوله يبحث عنها، يرجوها بأن تظهر، يرجوها بأن توقظه من هذا الكابوس، ولكنها لا تظهر أبدًا..

***

تجاهل التوسلات والبكاء وظل يحملق في الفراغ، الصور التي رآها بالترتيب تحكي بدقة ما حدث لها في ذلك اليوم المشؤوم، تمتم بصوت واهن يحدث نفسه غير مصدق ما حدث: بأي حق يفعلون بها ذلك؟! وأي ذنب اقترفته هي؟! إنها زوجتي، ملكي، كيف لهم أن يفكروا بذلك حتى؟!

كانت ريم لا تزال إلى جواره تحملق في الفراغ هي الأخرى متجاهلة توسلات وبكاء سيدات البرج لكريم كي يفعل شيئًا، لم يكن يسألها وهي تعلم ذلك، إنه يتحدث إلى نفسه غير مصدق ما يحدث معه، ورغم ذلك لم تستطع الإمساك بلسانها لربما سمعها، لربما هدأت، لربما كان التفسير منطقيًا! فهذا السؤال الملعون يدور برأسها ليل نهار، ما الذي فعلته كي تستحق تلك النهاية؟!

تكلمت وبدت بلا حياة، عيناها مثبتتان إلى الفراغ بشكل مخيف: أتعلم عن المحتل عندما يحاول اغتصاب أرض ما؟ يزرع عيبًا ما بها ويدعي الاحتلال من أجل المساعدة، بينما حقيقة الأمر أنه أتى لاغتصابها ومص كل خيراتها.

خالف توقعاتها والتف لها وإن كانت عيناه زائغتان في الفراغ: وما ذنبها هي؟ أي ذنب اقترفته؟!

: ذنبها الوحيد أنه أرادها.

: كيف ظن أنه سوف ينجو بشيء كهذا؟!

: السيئون هم من ينجون بأفعالهم هذه الأيام، لربما خطى على نهجهم.

اشتعل الغل به وصرخ قائلًا: لن ينجو بفعلته، أقسم على هذا.

وقف وأخذ يصرخ بهم: أين أجد هذا الملعون؟!

وقفت ريم هي الأخرى وتوسلت له: لا داعي لهذا فلمى قررت الأخذ بحقها.

صرخ من بين أسنانه: أقسم بأنني لن أسكت عن حقي، أنا من سوف يجهز عليه.

كان أشرف مرتعبًا، أعصابه مدمرة، لا نوم ولا راحة، والرعب يحاوطه من كل مكان، نزل بأقدام مرتعشة يطلب الصفح، يطلب العفو، أي شيء، إنه مستعد لفعل أي شيء، لم يعد لديه أية ذرة من المقاومة، وأصبح يتمنى الموت من أجل الخلاص.

حالما رآه كريم ثارت أعصابه وركض نحوه وأخذ يكيل له العديد من اللكمات والسباب واللعنات.

: لمَ افتريت عليها؟ لمَ فعلت ذلك؟ هل حاولت إغواءك أيها الكهل؟! أيها اللعين سوف أقتلك بيدي، أين هو الحقير رائد؟! انطق الآن.

أخذ يلهث ومسح الدم عن وجهه بتعب: لقد سلم نفسه إلى النيابة.

: لن يحول بيني وبينه شيء، سوف أجهز عليه ولكن سوف أبدأ بك أنت الآن.

وهم بلكمه ولكن يد كريم وقفت في الهواء، وحاول مرارًا مقاومة هذا الشعور وضرب أشرف ولكن بدا وكأن هناك حائطًا بينه وبين هذا الوغد.

عاد أشرف بظهره خطوتين إلى الوراء وهم بالصعود إلى الأعلى، ولكنه اختنق ووضع كلًا من يديه حول رقبته، احمرّ وجهه بشدة وبدأ جسده يرتفع عن الأرض، أخذ يرفس ويحاول الصراخ طلبًا للنجدة، ولكن لا يوجد له أي صوت، رجع كريم إلى الخلف وبدأت عفاف بالبكاء، علمت أنه ذهب بلا عودة وانكمشت السيدات على أنفسهن فاقدات أي أمل في النجاة من العقاب.

بدأ وجهه يتغير من الأحمر إلى الأزرق وارتفع جسده عن الأرض وازدادت ركلاته في الهواء إلى أن التفت ساقيه وسقط أرضًا مرة واحدة.

أخذت ريم تصرخ بشدة ومن ثم فقدت وعيها، وقبل أن تسقط حملها كريم وأخذها بعيدًا عن هذا البرج الملعون.

***

## (10)

: لقد أعيد فتح ملف انتحار زوجتك، لقد اعترف رائد بكل شيء.

رد كريم بجمود: أريد مقابلته.

: آسف يا سيد كريم، لم أستدعيك لهذا السبب..

كان يلهث ويشهق بشدة ويلف ويدور حول نفسه ويتحدث إليها ويتوسل لها: لقد اعترفت بكل شيء.. بكل شيء.. لن يدعوك أحد ما بالعاهرة بعد اليوم.. و.. وزوجك سوف يعلم بالحقيقة.. وكل الناس و.. وسوف أخبر الصحافة إذا أردت، أجل سوف أخبر العالم كله.

وسقط أرضًا على ركبتيه بإنهاك وأخذ يبكي وينتحب: دعيني وشأني أرجوك، لم أعد أتحمل، لم أعد أتحمل.

شعر بوخز رهيب في رأسه وصرخ بأعلى صوت لديه طالبًا الرحمة، وبعدها رأى الكلام على الحائط أمامه مكتوبًا بدمه:

"الجميع ينجو بفعلته هذه الأيام".

صرخ متوسلًا لها: لا لا، لن أنجو، لقد سلمت نفسي.. سوف أنال عقابي.. سوف أناله.

"أجل يا عزيزي فأنا سوف أحرص على ذلك، سلم لي نفسك الآن".

صرخ بأعلى صوت لديه: لا، أرجوك، الرحمة.. الرحمة..

ولم تدعه يكمل توسلاته: ارتفع جسده بالهواء وجُذِب من أطرافه الأربعة وتشبعت رئتيه تمامًا بالماء، وسقط أرضًا بعنف بعد أن أغرقته.

***

صاح وكيل النيابة بالعسكري الخاص به: ما هذه الجلبة؟!

العسكري: لقد شنق المدعو رائد نفسه يا حضرة الوكيل.

ركض كل من وكيل النيابة وكريم إلى غرفة الحجز الخاصة برائد وشاهداه متدليًا من قضبان الزنزانة ومشنوقًا بحزامه الخاص، ولا أثر للكتابات على الحائط.

***

وضع حقيبته أمام باب المنزل وحقيبة صغيرته ومن ثم ذهب وجلب الصغيرة من حضن والدتها التي تبكي وتنتحب بشدة، حملها وفك وثاق منى عنها وذهب نحو الباب، كانت جالسة على الأرض لا حول لها ولا قوة، تحاول التحدث معه ولا تعلم كيف؟

تصدر همهمات وتأوهات، يعلم تمام العلم أنها تتوسل له كي لا يذهب.

: لن تصيبني اللعنة يا منى، ولن تصيب شهدًا، أنا لم أفعل شيئًا خاطئًا، كي أعاقب عليه، سوف أترك لك المنزل، أعلم أن حياتك سوف تصبح في خطر إذا خرجت أنت منه، وورقتك سوف تصلك بأقرب وقت.

توسلت له بكل ذرة من جسدها، بكت ورمت نفسها تحت قدميه تطلب منه العفو وأن لا يتركها ويذهب.

نظر إلى الأسفل ولم يدع الشفقة تتمكن منه: لولا تعديك الثلاثين بدون زواج لما وافقت علي، مثلت الحب علي وللأسف لم أعلم ذلك إلا بعد فوات الأوان، رفضت تقديمي لصديقاتك، كنتِ تخجلين من رأسي الذي يفرغ معظمه من الشعر وتلعثمي بالكلام وجسدي الغير متناسق، فعلت المستحيل كي أجعلك تشعرين بي، بالرجل الجيد المحبوس بداخل هذا الجسد المترهل، عملت ليل نهار كي أوفي لكِ طلباتك ورغباتك.

والتقط أنفاسه وشاهدها وهي تتلوى من الندم: كان من الممكن أن أضع شعرًا مستعارًا وأقضي وقتي كله بالصالة الرياضية، وأصيح وأتبجح ولم يكن لينتبه أحد ما على تلعثمي، أعاملك بقسوة وبلا اهتمام، حينها كنتِ سوف ترينني أفضل زوج في العالم، وتطلبين الرضى مني، كنت أرى نظراتك له ولأي رجل وسيم، رأيت الغل والحسد بعيونك على أزواج أصدقائك، مهما حاولت ومهما

قدمت لكِ لم يكن يرضيك قط، دائما تريدين المزيد، دائما تنظرين لما ليس لك وليس من حقك أخذه بالأساس، ظننتِ أن صبري عليك ضعف مني أو أنني مغفل ولا أعلم بما يدور في خلدك.

وتساقطت دموعه وتكلم بقهر: لقد كنت تنادين اسمه أثناء نومك، لقد توقف تلعثم فمي ولم تنتبهي إلى ذلك، لقد توقف منذ أكثر من ثلاثة أشهر وأنتِ إلى الآن لم تنتبهي إلى ذلك، هل تعلمين متي توقف؟!

وضحك بسخرية من نفسه: توقف يوم إدلائي بشهادتي في النيابة، لقد صبرت عليكِ كل هذه المدة من أجل شهد، ضحيت بكرامتي وسعادتي وراحه بالي كي لا تربى بين أبوين منفصلين، ولكنك لم تنتهزي أي فرصة من الفرص التي قدمتها لكِ، أعلم الآن أنكِ نادمة بشدة ولكن عذرًا مني، لم يعد لندمك فائدة بعد اليوم، هناك أوقات يصبح فيها الندم بلا معنى وفاقد لصلاحيته، وندمك هذا فقد صلاحيته منذ زمن بعيد.

التفت وحمل الحقائب وأغلق الباب خلفه وتركها تتلوى على الأرض من الألم، تحاول الصراخ ولا تعلم كيف تبكي بشدة على ما كان لديها في زمن ما ولم تره إلا بعد أن فقدته..

***

هناء برقة: لمَ تبكين يا لمى؟

الفتاه باكية: لقد أخبرتني هند بأننا سوف نموت غرقى جميعًا.

ضمتها والدتها إليها بشدة وقبلتها: لا يا عزيزتي لم يصبنا شيء ولن يصيبنا شيء، نحن لم نخطئ بحق أحد، كما أن والدك أرسل إلينا، وسوف نسافر ونرحل عن هذا المنزل، عليك البدء بإعداد حقائبك يا حبيبتي.

الطفلة بفرح: حقًا! لقد اشتقت له كثيرًا.

: أجل يا حبيبتي، وهو أيضًا اشتاق لكِ كثيرًا.

***

وكيل النيابة: أعد علي ما قلته الآن ومن فضلك ركز.

الضابط: حسنًا، لقد أقر السكان بأن المدعو أشرف توفي على السلم، بينما عند إحضار جثته جلبناها من حوض السباحة.

: ما هو رأى الطبيب الذي شرح الجثة؟!

: الوفاة نتيجة الغرق!

: حسنًا، ماذا عن الشقة؟!

: لقد أخذنا أقوالهم مرة أخرى وجميعهم أقروا بأن الشقة غارقة بالدماء ورسومات غريبة عن الحادث، ويشتكون من الرائحة النتنة المنبعثة منها.

: حسنًا، وما هي نتائج البحث؟!

: لم يكن هناك أي أثر للدماء أو الرسومات، بدت الشقة طبيعية للغاية، وكل ما هناك هو بقايا للخمور والمخدرات التي كان يتعاطاها المدعو رائد قبل وفاته.

: وما مصدر الرائحة؟!

لقد فتشنا الشقة مرارًا وتكرارًا ولا يوجد بها أي سبب يدعو إلى هذه الرائحة، ومهما حاول السكان تعطيرها وتنظيفها لا تذهب تلك الرائحة اللعينة عنها.

: هل أنت متأكد من عدم وجود جثث بها؟

: أجل متأكد.

: أشعر بأنك تدخر شيئًا للنهاية، هيا أخبرني.

: تقرير الطبيب الشرعي لوفاة المدعو رائد يشير إلى أنه مات غرقًا؛ فرئتاه مشبعتان تمامًا بالماء، رغم أنه توفي شنقًا.

وكيل النيابة مصدومًا: ماذا؟!

***

كان جالسًا على سريره بتعب، ممددًا ساقيه الطويلتين أمامه يشعر بالندم يأكل من كل ذرة من جسده، وتعبث كلمة "لو" بعقله كما لم تعبث من قبل.

ماذا لو كان صدقها؟

ماذا لو كان رحل عن البرج؟

ماذا لو لم يتركها في هذا اليوم؟

ماذا وماذا.. مليون "لو" تطن بأذنه، والنتيجة واحدة: الندم.

انتبه إلى الهواء الحزين أسفل السرير، ولأول مرة يشعر بوجود القط معه بالشقة، لا يذكر أنه رآه من قبل معه في الشقة التي انتقل إليها، نزل عن السرير ببطء وجلس على الأرض وسند ظهره على الحائط إلى جوار الجرائد التي كان يجلس عليها القط، وصعد القط على حجره وأخذ يموء بحزن لكريم.

أخذ كريم يربت عليه ويمسد فروه كما اعتادت لمى أن تفعل له وسأله بوهن: هل اشتقت لها يا سيزر؟

أجابه القط موافقًا بمواء حزين، ضمه إليه وتمتم بحزن: وأنا الآخر يا سيزر اشتقت لها كثيرًا.

رفع القط رأسه إلى كريم وظل ينظر كل منهما إلى عين الآخر، شعر كريم بالسكينة وتعجب لهذا، ورجح الأمر إلى أن لمى كانت تحب سيزر كثيرًا، وقرر أنه لن يتخلى عن هذا القط، رغم أنه كان يبغضه كثيرًا سابقًا، ولكنه سوف يحافظ عليه من أجل لمى.

مسد فروه الكثيف إلى الوراء وتكور القط بحضنه وضمه كريم لأول مرة هو الآخر بحب، ورغمًا عنه تساقطت عدة عبرات من عينه.

: أتعلم يا سيزر، أتمنى فقط لو أني أستطيع أن أعتذر منها، لقد أخفيت عنها أمرًا ما أتمنى بشدة لو أنها تعلمه، لطالما اعتبرتني بطلها المغوار الذي أنقذها وحماها من شرور ابن عمها وتجبر وظلم عمها، ولكن تلك لم تكن الحقيقة، لقد أنقذتني لمى، أجل أنقذتني بكل ما للكلمة من معنى، لقد عشت عمري كله وحيدًا ومنبوذًا، كلما ذهبت لأحد من أقاربي أسمعهم يتهامسون مع زوجاتهم وأبنائهم علي بتحملي عامًا فقط، عام واحد ويذهب من هنا، وعندما استقريت عند عمي الأخير لست سنوات، كنت أرى رغبتهم جميعًا كل يوم بالخلاص مني، وتمني اليوم الذي أذهب فيه بلا عودة، كان من الممكن أن أجد وظيفة وأتركه ولكنني أردت عائلة، أردتها بشدة، أردت أمًا تضمني إلى حضنها، وأبًا يشجعني ويربت على ظهري، أردت إخوة أشاركهم لعبي وسري، ولكن لم يردني أحد منهم قط، كنت أحاول بكل مقدوري ولكني لم أحصل على تلك العائلة التي حلمت بها منذ أن فقدت والديّ، وأتت هي.

ولمعت عيناه عندما تذكر أول يوم رأى به وجهها الجميل وعيونها البريئة الدامعة، خطفته منذ اللحظة الأولى

لولاها لكنت ظللت هذا المنبوذ التافه الذي لا قيمة له، لولا حبي لها وخوفي عليها لما اجتهدت في عملي وأصبحت شيئًا، لولا اهتمامي بها لكنت ملقى الآن في أحد البارات أندب حظي ولوعتي من قسوة الزمن معي، هي من جعل كل شيء ممكنًا، هي من دفع الحزن والهم واليتم والوحدة عني، هي التي كان حضنها أدفأ مكان بالعالم ولا يضاهي دفأها سوى دفء حضن أمي، وها أنا الآن عدت

إلى وحدتي ويتمي، فقدت أملي بالحياة، الأطفال الذين تمنيتهم منذ أول يوم لي معها، وفقدتها هي الأخرى، لقد كانت هي البطلة، هي من أنقذتني.

وبكى مرة أخرى بشدة: لم أخبرها قط بذلك، كنت خجلًا من إخبارها، أتمنى فقط لو تعلم، هل تعتقد بأنها كانت تعلم؟ لقد كانت تتحدث إليك دائمًا، هل أخبرتك بهذا يا سيزر؟!

أجابه القط بمواء وضمه كريم له بشدة، وانتبه إلى شيء ما، ورفع القط في مواجهته وسأله بتعجب: كيف عشت كل هذه المدة، من كان يطعمك؟!

صدر عن القط مواء مرة أخرى ونظر كريم حوله ووجد طبق سيزر الذي يوضع به الحليب، وقف وسار ببطء نحوه ووجد به بقايا من اللبن، كيف وهو لم يعلم بوجود القط! من وضع له الحليب؟ ومن أتى بالحليب فأنا لا أشربه بتاتًا ولمى من كانت تشربه هي والقط؟!

سار إلى الثلاجة بحذر وهو يحمل سيزر، وفتح الباب خاصتها بترقب، ووجد علبة حليب من ذلك النوع الذي كانت تشربه لمى، ضحك بشهقة وتساقطت دموعه بغزارة، وأخذ يتلفت حوله بكل مكان وهو مبتسم رغم دموع حزنه، رفع القط له وقبله وتمتم بهدوء: يبدو أنها لن تكف عن الاهتمام بنا، أليس كذلك يا سيزر؟!

***

حان الليل وأصبح جسدها كله يرتعش، تحاول إخفاء رعشتها عن ابنتيها إلى أن نجحت بجعلهما تخلدان إلى النوم، أغلقت الباب عليهما بهدوء ونزلت متسللة إلى الأسفل، لم يعد لديها سوى

ابنتيها، فقدت ابنها وزوجها وتوسلاتها لكريم لم تجدي أي نفع، ندمت أشد الندم بعد أن علمت بحملها، إنها تنتقم لعائلتها، لأطفالها، وهذا يجعل الأمر أصعب، لم يعد لدي عفاف أي ذرة أو قدرة على التماسك، شهور طوال وهي بهذا الوضع، لا نوم ولا طعام ولا راحة، لم يعد جسدها أو عقلها يتحملان أيًا من هذا، وطرقت على بالها فكرة.

لربما لو مت أنا رحمت طفلتيّ، فلا ضرورة من قتلهما بعد قتلي.

وقفت أمام حوض السباحة وألقت بنفسها رغم أنها تعلم كيف تسبح ولكنها كانت تحاول خداع لمى، لربما رأتها في الحوض وأجهزت عليها وبذلك تعتبر لمى نفسها هي المنتقمة ولا تعلم شيئًا عن انتحار عفاف، وتترك بنتيها وشأنهما.

شعرت بيد تسحبها إلى أسفل القاع وغاص جسدها إلى الأسفل، كان يفترض بها أن تفرح فهذه هي الخطة، خداع لمى، ولكن الخطة شيء والرغبة الطبيعية للبقاء على قيد الحياة الموجودة بكل إنسان شيء آخر!

بدأت تقاوم بشدة وفجأة ارتفع جسدها من الماء وطار خارج حمام السباحة وسقطت أرضًا بعنف على العشب، سعلت بشدة لتخرج المياه التي ابتلعتها أثناء مقاومتها ومن ثم نهضت ودارت حول نفسها، وحالما تأكدت من أنها على قيد الحياة بكت بدون حساب، لقد علمت بمخططها ولن ترحمها بعد الآن.

أخذت تبكي وترجوها: اقتليني، هأنذا بين يديك، افعلي بي ما شئت، رجاءً، أتوسل لك خذي عمري، خذي روحي.

كانت تتذلل لها وتتوسل بكل مقدورها، كانت منهكة للغاية، وأخذت تصرخ وتطلب الرحمة من لمى.

: هيا، أنت سوف تفعلينها بأي حال، هيا ما الذي تنتظرينه بحق الجحيم؟!

سقطت أرضًا ولم يعد لديها أية قوة للبكاء حتى تكورت على نفسها تهدئ جسدها المرتعش من الخوف وملابسها المبتلة على حد سواء، ثم شعرت فجأة بهواء ساخن يلفح وجهها، وصوت يهمس في أذنها أشعل الرعب بها كما لم تشعر بالرعب من قبل:

"إنه ليس دورك عزيزتي".

تمت.

## تذييل

**حدثت سلسلة من حالات الغرق بعد ذلك وليس في البرج الملعون وحسب بل في المدينة كلها، وبات الأمر معروفًا للجميع، رغم إنكار الشرطة والصحافة له، وبعد تلك السلسلة من حالات القتل عم سكون وأمان في جميع أنحاء المدينة، هدوء وأمان مثير للريبة، فلا يوجد هناك حالة واحدة للسرقة أو الاعتداء أو القتل.**

**فالجميع بات يعلم أن روحها تجوب المكان باحثة عن حاسد أو حاقد أو شاهد زور..**

**فاحذر وانتبه من أن تعثر عليك لمى، إياك والخطأ.**

حساب الفيس بوك

https: //www.facebook.com/lola.elshaer.1

لتقيم العمل:

https: //www.goodreads.com/book/show/32725672

ويمكنك أيضا تقيم أو تحميل مذكرات حائر

https: //www.goodreads.com/search?q=%D9%85%D8%B0%D9%83%D8%B1%D8%A7%D8%AA+%D8%AD%D8%A7%D8%A6%D8%B1

والتحميل المباشر من:

http: //www.book-juice.com/books/%D9%85%D8%B0%D9%83%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%AD%D8%A7%D8%A6%D8%B1/